بقايا حكايات لما جرى

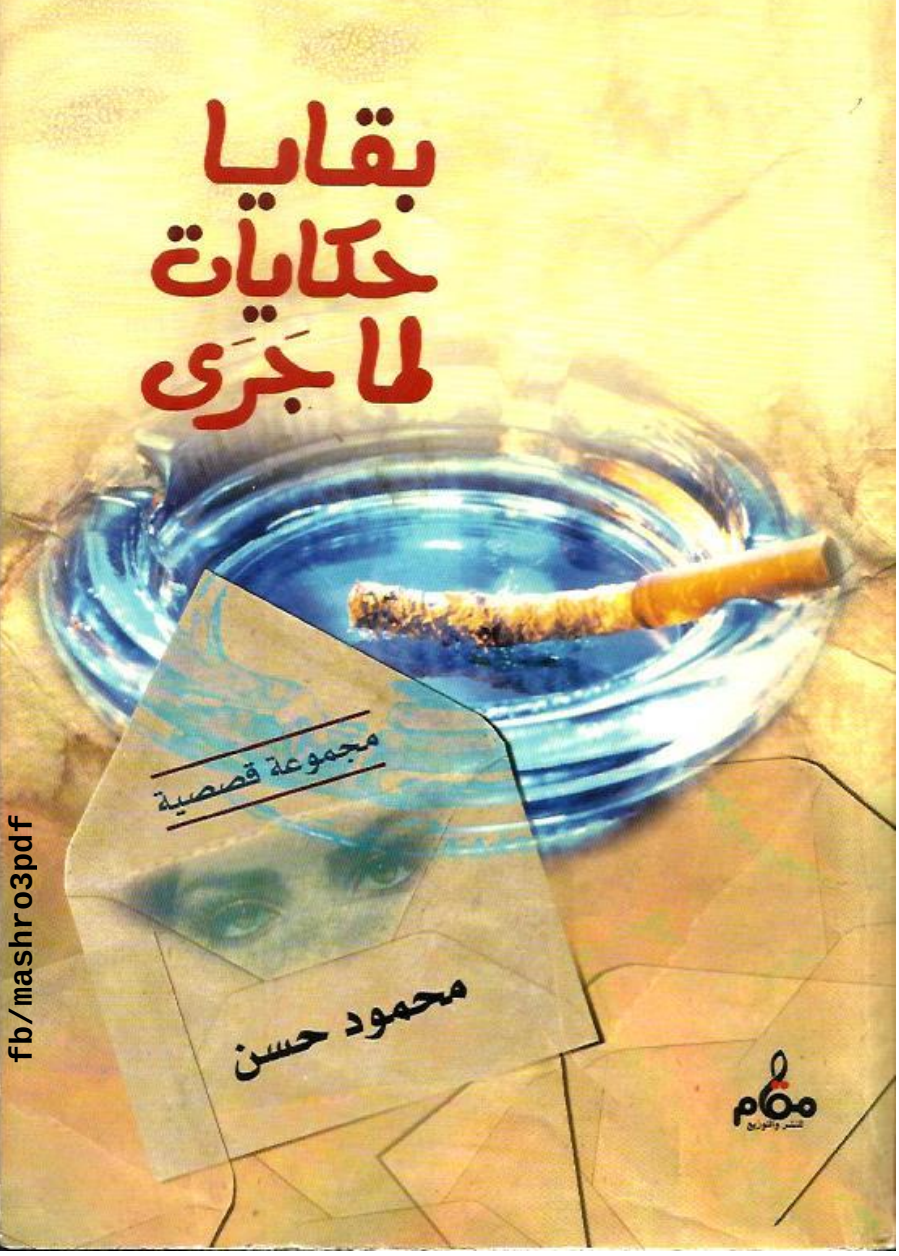

مجموعة قصصية

محمود حسن

مقام للنشر والتوزيع

fb/mashro3pdf

بقايا حكايات لما جرى

fb/mashro3pdf

بقايا حكايات لما جرى

قصص

محمود حسن

الطبعة الأولى ٢٠١٤

تصميم الغلاف: عبد العزيز السماحي

تدقيق لغوي: أحمد عبد المجيد

رقم الإيداع: ٢٠١٣/ ٢٢٩٧٤

الترقيم الدولي: 978-977-85080-0-0

مقام للنشر والتوزيع

عنوان: ٤٦٦ عمارات نصر الدين، الهرم – الجيزة.

تليفون: ٠١١١٢٧٥٠٧٩٩

إيميل: maqam.publisher@gmail.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

fb/mashro3pdf

بقايا حكايات

لما جرى

محمود حسن

fb/mashro3pdf

مشروع
للنشر والتوزيع

fb/mashro3pdf

إلى أصدقائي..

وإلى بسنت.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

هي

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

لطخات

fb/mashro3pdf

أمسكَ الفرشاة، دسّها في علبة الطلاء الأسود، وشرع بيد متوترة يُلطخ جدار مدرسة البنات في شارعنا، على مقربة كانت امرأة من الاثنتين بصحبته تنادي، تشير بين الحين والحين إلى بقعة في السور: "هنا.. تعال ادهن هنا".

دون تردد يذهب حيث تشير، ويظل يُوجّه للجدار بفرشاته ضربات سريعة متلاحقة، فيما وقفت المرأة الأخرى ترقبهما وتتمتم بين الحين والحين في قهر: "الله يفضحه"، كان الرجل يعمل صامتًا بيد يزداد اضطرابها بازدياد البقع السوداء على الجدار.

على سور المدرسة كانت ذات العبارة مكتوبة ولعشرات المرات، بعضها طمسته فرشاة الرجل، وبعضها ينتظر، على طول الجدار كان مكتوبًا ولعشرات المرات: "أنا بحب منى.. أحمد يسري، وأبوها مش عايز يجوزهالي".

أنهى الرجل عمله، تطلع للجدار لحظة ينظر لمنجزه ثم استدار لينصرف بصحبة المرأتين، في طريق مغادرتهم توقفت المرأة المتمتمة، تطلعت إلى الجدار خلفها فترة في أسىً ثم قالت: "مفيش فايدة.. حيرجع يكتبها تاني".

نظرت مدققة، فتبينت ساعتها أن اللطخات على الجدار بعضها كان حديثًا، طريًا لم يزل لامعًا، وبعضها كان قديمًا.. قديمًا بعمر الحب المسفوح.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

كلمات من قصاصات ممترنة

(١)

"زوايا مختلفة للرؤية"

في المرة الأولى رأيتك ترتدين زيًا أسود وتضحكين، ساعتها ابتسمت، واشتعل شيء ما في قلبي؛ لكنني هذه المرة حين اختلست نحوك نظرة خاطفة أخيرة أحرص فيها أيّما حرص ألا تريني، أختلسها لتبقى صورتك مطبوعة في الذهن لا تُمحى؛ لمحتك – وللمصادفة – ترتدين زيًا أسود أيضًا.. وتضحكين.

لم أبتسم.. واشتعل شيء ما في صدري..

بين مرتيّ الرؤية كانت الحكاية، وكان كل هذا الذي كان بيننا، ذلك الذي أضحى وكأنه كان حلمًا، واستحال سكونًا رهيبًا، وصمتًا.. وفراغًا.. ولا شيء.

الأقدار أيضًا.. أظنها كانت تضحك في المرتين، وربما كانت مثلك ترتدي زيًا أسود.

(٢)

"كلمات الرجل رقم ثلاثة"

fb/mashro3pdf

هذا الرجل يا سيدتي يجلس في غرفته – مضطربًا – يكتب عنكما وعنه، يشتعل حقدًا، ومرارةً وأسىً، يرشف من كوب القهوة أمامه، علَّ القهوة تُعيد إليه الذهن من شتاته، يدعك عينيه، ويخطُّ في ورقته.

((*وحيد أنا الآن.. وحيد أكثر من أي وقت مضى، وهذا شعور بائس ومخيف، يزيد من بؤسي أنني أعرف أنكما الآن في مكان ما تضحكان، تمرحان، تتناولان من نفس طبق الطعام، تتمازحان، تتلامسان، وربما يسترق الآن منك قبلات مختلسة في غفلة الأهل المتواطئين.*

حتى وإن كان مرحكما، وملامستكما، وقبلاتكما المختلسة محض أوهام، لكنكما بلا شك سعيدان.. وأنا حزين.. حزين ربما أكثر مما يجب)).

يمزق ورقته ويكتب في أخرى..

لا تبدو الأمور سيئة جدًا هكذا في الحقيقة، هناك ثلاثة.. اثنان.. في سعادة، وواحد حزين، هذا معقول إلى حد بعيد، المشكلة تكمن فقط في أنك رقم ثلاثة، وهكذا هي الحياة.. هناك واحد واثنان، وهناك ثلاثة أيضًا.

(٣)

"عود على بدء"

fb/mashro3pdf

هذه ليلة مناسبة للكتابة عنك، ليلة لصباح أخير لمحتك فيه ترتدين الأسود وترحلين، يودعك الأهل والأصحاب، وأقف أنا كتلميذ خائب في حفل تكريم الناجحين، أختلس نظرة وداعٍ أخيرة منك.

البرد بالخارج قارص، والمقهى أغلق باكرًا، الشارع خاوٍ، ولا مزيد من الأصدقاء، تدق الريح على شباك غرفتي، وتتسلل خلسة من بين الفتحات، أرتدي قفازين صوفيين، جوربًا، وغطاء رأس مضحك، فيروز تغني الآن "بكتب اسمك يا حبيبي"، وأبي لم يستيقظ بعد كي يصيح..

"اطفي المخروب ده."

وكنت قد وعدت نفسي ألا أكتب عنك، لأن أمي حين تفتش أوراقي خلسة في غيابي، تجد قصصي التي أحكي عنك فيها، فتشعر بالحزن لحالي، وأنا أمقت نظرة الشفقة هذه في عينيها، لذا وعدت نفسي ألا أكتب عنك مرة أخرى؛ لكنني ها أنا ذا أعود لأضبط نفسي متلبسًا بارتكاب ذات الحماقات من جديد.

(٤)

"كلمات أخطأت طريقها"

امرأة واحدة فقط – هي أنتِ – جمعتني معها في ضمير ملكية المثنى "نا"، قالت الكلمات هكذا شطرًا من زمان ثم طردتني من ملكيتها، وأعطت "النون" و"الألف" لآخر بقية العمر.

fb/mashro3pdf

أحلام نا.. أماني نا.. حب نا.. سعادة نا، لم يعد لي فيها نصيب، فثمة آخر يُكمل الأحلام.. يستمتع بالأماني، ويقيم في عش سعادتي، سرق الأحلام ومضى، وأنا ليس معي صكوك الملكية.. وهذا أمر سيء ألا يكون معك صكوك ملكية لأحلامك.. هذه دعاوى تخسرها في المحاكم بسهولة.

(٥)

"يكتب رسالة إلى الرب"

عزيزي الرب..

ثمة ولد ساخط بعض الشيء يريد أن يحادثك قليلاً.

أعرف أنك موجود، لا تصدق هذا الذي يتحدث في عقلي في الليالي البائسة، ذلك الذي يتساءل عنك، وهل أنت موجود حقًا؟ وهل تجري الأمور فعلاً كما ينبغي عن رحمتك حين يجد الإنسان حياته بائسة بهذا الشكل؟.

هذا الذي يتحدث ليس أنا عزيزي الرب، هذا الشيطان يوسوس في عقلي، وهذا اليأس وطعم الفشل في قصص الحب (مرة تلو أخرى)، وفراق الأحباب، والوحدة.

الولد الساخط يريد أن يعتذر؛ لكنه يتساءل أيضًا في خجل منك. هل يستمر هذا كثيرًا؟ .. عزيزي الرب رجاءً.. أوقف هذا.

fb/mashro3pdf

(٦)

"حاشية سفلى"

ورّطت نفسي في هذا حتى الثمالة.. خضت في وحل الحبّ هذا حتى الساقين.. ثم وقفت ألعن الجميع.. أليس هذا شيئًا مزريًا فعلاً؟

fb/mashro3pdf

كبرعم.. لمسته الريح

17

fb/mashro3pdf

هل كنتَ تدركَ منذ البدء فتواطأتَ مع الأمر كأنك كنتَ تريده؟!. الرائحة التي تسربت إليك من جاركَ في مقهى "الإنترنت"، تلك التي تشبه رائحة العشب المحترق وشت لكَ بأن شيئًا غير التبغ يحترق داخل تلك السيجارة؛ لكنكَ تجاهلت شكوكَكَ، قلتَ لنفسكَ: إنه الشك داؤك القديم، تعللت بجهلكَ، وتناسيت الأمر.. أو ربما تواطأتَ معه، لا تدري! لكنكَ جلستَ تستمع مرارًا للأغنية التي كنتَ تسمعها للمرة الأولى وتشعر بها تنساب داخلك.

الأبواب كانت مغلقة اتقاءً لبرد الشتاء. والدخان كان كثيفًا، وأنتَ تؤذيكَ رائحة الدخان؛ لكنكَ تركته، لم تطلب منه أن يطفئ السيجارة ذات الرائحة الثقيلة، فرغ منها، أخرج العلبة من جيبه، نظرتَ ناحيته بنصف عين، التقط أخرى من العلبة، حاولت أن تدقق النظر فيها، مشهدها بين أصابعه أوحى لكَ أنها ممتلئة ربما أكثر مما يجب، لاحظ نظراتك فأدار وجهه إليكَ؛ لكنه عاد مرة أخرى لسيجارته يشعلها بغير اكتراث، ويطيل النظر في الشاشة أمامه، يتجاهلكَ تمامًا وكأنكَ لم تكن موجودًا، ساورك الشك أكثر، لكنكَ لم تكن متيقنًا فلم تدرِ ما عليكَ فعله وتجاهلتَ الأمر، أو ربما تركتَ نفسك له، أعدتَ سماع الأغنية مرات تجاوزت العشر، فيما كانت الصورة أمامكَ تغيم شيئًا فشيئًا، وسكون مريح يسري في أوصالك وسط غمامة الدخان حولكما.

اكتفيتَ.. ظللتَ نحو ساعتين تنهل من رائحة الدخان وتُكرر سماع الأغنية، قمتَ من مقعدك متجهًا إلى صاحب المقهى تريد أن تدفع

fb/mashro3pdf

حسابكَ، استيقنتَ أن الأمر لم يكن بريئًا حين أحسستَ أن فعلاً اعتياديًا للغاية بدا صعبًا وعسيرًا، أردت أن ترفع قدمكَ وتنقلها خطوة للأمام، فشعرت أن عليكَ أن تبذل جهدًا خارقًا لفعل هذا، أحسست وكأنك تتعلم السير من جديد، خطوتَ الخطوات بصعوبة ومشقة، خُيّل لكَ للحظة أنهم استبدلوا قدمك بقدم فيل، رافقتكَ الفكرة، فكرتَ أنها تصلح أن تكون قصتكَ القادمة، الرجل الذي استبدلوا قدمه بقدم فيل، شعرت بسعادة من فكرتكَ الجديدة، انتشيتَ مبتهجًا، وابتسمتَ رضىً.

وصلت عند صاحب المقهى أخيرًا، سألته عن الحساب، قال لكَ دون أن ينظر إلى وجهك:

"أربعة جنيه".

أخرجتَ المال من جيبك فسقطت منكَ ورقة بعشر جنيهات، لم تدرِ لما ضحكت وقتها؛ لكن الجنيهات العشرة التي سقطت على الأرض جعلتكَ تضحك كثيرًا، وبدا لك الموقف مبهجًا.

لا تذكر هل انحنيتَ تلتقط الجنيهات العشرة أم تركتها وانصرفتَ؛ لكنكَ خرجتَ من المقهى تريد المنزل، فوجدتَ نفسك عند شاطئ البحر القريب. كان الفجر وشيكًا، والطريق خاويًا، ولسعة برد الشتاء سرت في جسدك، كنتَ وحيدًا جدًا ليلتها، وحيدًا أكثر من أي وقت مرّ عليك من قبل، تتذكرها وتتمنى لو كانت معك كي تُحادثها وتحكي لها، لم يكن في رأسك شيء محدد كي تحكيه، أردتَ أن تحكي عن أمك، عن أوجه الشبه بينهما، أردتَ أن تُدللها بالاسم الذي تحبه، أن تشكو لها أباك والوحدة،

fb/mashro3pdf

أردتَ أن تقول نكتة كي تسمع ضحكاتها، تلك الضحكات التي كانت تُوقظ فيكَ أملاً تفتقده وتُنعش فيكَ الروح وتُحيي فيكَ ما أماته تعاقب الأيام، جاءت من بعيد، تمشي بخطوة وئيدة متمهلة كعادتها، ترسم ابتسامتها الواثقة، وتنظر لكَ بعينيها اللتين أوقعتاكَ في حبائلها يومًا، تستمع لك وتُداري ضحكاتها الخجولة بالكف الأبيض الصغير.

حكيتَ لها كما لم تحكِ من قبل، قلتَ أمورًا كثيرة لا تذكر منها الآن شيئًا، حكيتَ حتى شبعتَ من الحكايات، وحين صمتَّ انصرفت دون أن تنطق كلمة واحدة، ووقفتَ أنتَ على رمال الشاطئ تُلوح بيدكِ تودعها، ولُمتَ نفسكَ بعد ذهابها لأنكَ كعادتك ثرثرتَ كثيرًا، لم تترك لها مجالاً كي تتحدث، استشعرتَ أن الأمر غريب بعض الشيء؟!

سألتَ نفسكَ هل كانت هنا حقًا؟؟ أم خُيل لكَ وجودها؟

لم تمتلكَ جوابًا لحظتها لسؤالك؛ لكنكَ تذكرت أن أمورًا حدثت بينكما حيث لن تلتقيا، احترت أكثر! أعدت السؤال على نفسكَ، هل كانت هنا أم كان هذا حلمًا؟!

لم تحصل على إجابة؛ لكنك وجدتَ دموعك تسيل على خدكَ دون أن تدري سببًا محددًا لهذا، فنظرتَ نحو البحر وأخذتَ تُغني بأعلى صوت تلك الأغنية التي استحوذت عليكَ تلك الليلة..

"يبكي ويضحك لا حزنًا ولا فرحًا

كعاشقٍ خطَّ سطرًا في الهوا ومحَا"

في الطريق من البحر إلى بيتك، كنتَ تردد أبيات شعر فيها اسمها، كان الخارجون من صلاة الفجر يُحدقون فيكَ طويلاً، ولم تكن تعرف لهذا سببًا.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

أمور قديمة

خطا نحو الباب خلف مكتبه في بطء، عالج القفل الصغير، فتحه، تقدم حذرًا داخل الغرفة المظلمة، مدّ يده يتحسس الحائط يبحث عن زر "النور"، وجده، ضغط عليه فانبعث الضوء من المصباح المدلى في الوسط ضعيفًا وباهتًا، زاد اصفراره من شحوب الغرفة، وضاعف من أثر الزمان على جدرانها، لكنه كان كافيًا لإظهار تفاصيلها، الملفات كانت متراصة بازدحام على الأرفف التي تصنع من الغرفة مجموعة من ممرات متوازية، وبعضها برز من أحشائه أوراق حكومية تآكلت أطرافها قدما، وبدت منها الجمل المكتوبة بخط رديء متعجل، بالإضافة لأختام وطوابع دمغة.

جرّ قدمه المتثاقلة في خطوات نحو الداخل يحتك نعل حذائه بالأرض، فيقشعر بدني لصوت الاحتكاك، يتقدمني بجسده الضئيل، وقامته المحنية. التفت وقال:

– "الموظف من دول ما بيقابلكش غير مرتين في عمره: لما يتعين يجيب لك ورقه.. وهو طالع يجي ياخده تاني".

مشى للأمام خطوات، مدّ يده لواحد من الأرفف، عبث قليلاً، استخرج ملفًا، قرّبه مني وفتحه.

– "آهو ده مثلاً الملف بتاعي وأنا طبعًا حاخده دلوقتي".

لفتت انتباهي صورته في الملف، قارنت بين الشاب في الصورة والعجوز أمامي فلم أستطع إيجاد شبه واضح، كانت ملامح الكبر في وجه العجوز تُغطي ملامحه الأخرى وتطغى عليها، التجاعيد والجلد المرتخي يحتلان

fb/mashro3pdf

الوجه ويسيطران عليه كمعالم أساسية، يجعلان من الأنف والفم والجبين تفاصيل ثانوية، عيناه ارتخى جفن إحداهما حتى قفلها تمامًا، فيما كانت الأخرى المفتوحة تبدو وكأنها سابحة في دمعة كبيرة ترقرق ولا تسقط أبدًا.

- "حتعمل إيه بقى، تمضيني في الدفتر اللي هناك ده اللي على الطريزة ده.. على كل حاجة، شهادة الميلاد.. المؤهل.. شهادة الجيش.. الست صور.. حتى صورة البطاقة تسلمهالي وتمضيني عليها".

هززت رأسي علامة للفهم، تقدم أكثر نحو العمق المظلم، سعل خفيفًا وهو يقول:

- "دول بقى اللي مشوا وما خدوش ورقهم، اللي مات.. اللي اتسجن، واللي سافر وما رجعش، أنا شايلهم كلهم هنا.. مين عارف مش يمكن ييجي يوم ويسألوا عليها آه أصل دي أمانة ..".

صمت ونظر لوجهي متأملاً وقع الكلام، يتفرس ملامحي بقلق، اقترب مني وابتسم ابتسامة مترددة:

- "أنا حسيبك بقى، كله كده تمام بس كان ليا عندك طلب صغير".

اتجه لأرفف الأوراق التي لم يأخذها أصحابها، مدَّ يده، استخرج منها ملفًا وفتحه، قلّب في الأوراق واستخرج الصور من بينها، أمسك واحدة منها ومدها لي:

- "بص دي كده.."

fb/mashro3pdf

نظرت متأملاً، كانت صورة قديمة بالأبيض والأسود لفتاة جميلة، بعينين واسعتين تلمعان، وفم صغير جميل، تبتسم في مرح صادق، شعرها مموج مسترسل على جانبي الوجه الأليف، مدّ يده، أخذها من يدي برفق، نظر لي وقال متلعثمًا:

– "أنا بعد إذنك.. حاخد دي".

صمتُّ محتارًا، فتابع بنبرة خافتة:

–"دي بسيمة.. كانت معانا زمان بس اتجوزت بقى ومشيت، الكلام ده من زمان أوي".

أحسستُ بحيرةٍ شديدة، ولم أدرِ ما عليَّ فعله، وشعرتُ بقلقٍ أن يكون اختبارًا يُجريه لي؛ لكنه بدا وكأنه فهم حيرتي وأحسَّها فقال مشجعًا:
- لعلمك أنا كان ممكن آخدها من غير ما حد يحس؛ لكن قلت لازم أقولك، الورق ده هنا من زمان قوي، هي ما جتش تاخده.

صمت قليلاً قبل أن يُردف وعلى وجهه ابتسامة حزينة ترتعش:

– "ما كانتش عايزة تشوفني"..

نظر للصورة، تابع همسًا والابتسامة الحزينة لم تُمح بعد:

– "أصلنا كنا متفقين على كل حاجة.. كل حاجة، بس النصيب، تقول إيه في النصيب؟!".

شرد لحظة، ثم انتبه فقال:

fb/mashro3pdf

– "والنعمة ما رضيتش أخده من غير ما أقولك.. سايق عليك النبي يا شيخ ما تكسفني".

نظر نحو عينيّ مباشرة، ترتعش أوراق الملف في يده، عينه المفتوحة كانت تترقرق دمعتها الدائمة ويزداد لمعان البحيرة الصغيرة فيها، جفن الأخرى المنغلق كان يهتز بشدة، على وجهه رسم ابتسامة تستعطفني وهو يتراجع للخلف خطوات كي يستند على الحائط، كان يحدّق فيّ بالعين الوحيدة، وينتظر.

كنت أنظر لوجهه متعجبًا من تشابه الملامح الكبير بيننا.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

بقايا حكايات لما جرى

افترشتَ أرض البيت، أمسكتَ ثمار الخرشوف تُجرد عنها أوراقها، من على مقعدكَ بقيتَ تُراقبها بنصف انتباه، وتذكرتَ جلستكَ بجوارها صغيرًا، تُعطيكَ ثمرة، تطلب منك نزع الأوراق عنها، وتُغريك بأكل الطرف الأبيض في الورقة المنزوعة، كدتَ أن تُذكّرها بهذا؛ لكنكَ لم تجد رغبة حقيقية أن تفعل، فصَمتَّ.

أصغر أخواتك كانت تجلس قريبًا، طلبت أمك منها المساعدة، رفضت، تكلمت أمك غاضبة عن "البنت الشاطرة"، "عمايل البيت"، "الجواز". أبوك ظلّ صامتًا، وأنتَ سرحتَ في كلماتهم، شعرت لوهلة أنها كلمات غريبة عنكَ، وأن مفردات كهذه لا تنتمي لعالمك، أحسستَ بشيء من حزن، لمحت أمكَ شرودكَ بنصف عين؛ لكنها تشاغلت عنك بالخرشوف، تمتمت بكلمات لم تتبينها، وأبوك ظلّ صامتًا.

كعادتكم.. حملقتم في مؤخرة الموظفة الجديدة حين مرّت. جارك في المكتب مازح آخر وقال:

– "دي بقى مسيحية، مش حينفع تحبها زي اللي فاتوا".

ضحكتم، ضحك هو أيضًا؛ لكنكَ حين لمحته بعد لحظات بطرف عينكَ وجدته واجمًا، انحنيت على جارك تقول: إن الكلمة أوجعت صاحبنا. أشاح برأسه وقال:

– "أحسن.. أصل ده رومانسي حقير، وممكن يحبها فعلاً، انت ناسي بيعمل إيه مع كل بنت؟".

fb/mashro3pdf

هززت رأسك موافقًا، وردّ هو بتعقل مصطنع:

– "ما ينفعش الواحد يبقى سايب نفسه للعواطف".

رددت:

– "آه.. كل حاجة بالعقل".

لكنكَ بعد قليل ابتسمت نصف ابتسامة باهتة، وقلتَ لنفسك:

– "وأين كان عقلك يا ابو عقل؟".

كنتَ حين تريد العودة إلى بيتك تركب إلى محرم بك، لم تكن تسكن هناك؛ لكنكَ كنتَ تأمل أن تُصادفها مرة في المواصلات أو عند بيتها، وكالعادة لا تلتقيها، وتعود خائبًا تمشي حزينًا في "أمير البحر"، وتقطع "أمبروزو" بأكملها سيرًا، متجهًا إلى بيتك في "كابو". وفي المرات التي تراكَ فيها أمك من جلستها في البلكونة قادمًا من ناحية فيلات "فيني" كانت تقول لك:

– "جاي من ناحية الفلل ليه؟"

فترد:

– "أبدًا كنت بتمشى".

وهي تنظر نحوك بريبة وتقول: "هو اللي بيتمشى يتمشى ناحية عزبة الصفيح؟".

fb/mashro3pdf

هل تنتهي؟ لا لم تكن تنتهي، تكرر هذا كل يوم دون أن تستسلم يومًا واحدًا.

نظرتَ لجارك في المكتب وقلتَ: "صح.. أوسخ حاجة إنك تسيب نفسك لعواطفك".

تعجب قليلاً لأن الحوار انتهى بينكما منذ فترة، هزّ رأسه موافقًا ثم عاد لعمله.

هل تذكر يوم خطبتها؟ يوم وقفت تحت بيتها تلمح الأنوار الملونة تُضيء وتنطفئ، تتأمل وجوه أقاربها ومظاهرهم المتأنقة. هل بكيتَ يومها؟ لا لم تبكِ."سبيتَ ميتين أبوها" في سرّكَ ألف مرة، ونعتّها بكل النعوت المشككة في شرفها، ومضيتَ عائدًا لبيتكَ من ناحية عزبة الصفيح، لماذا لم تبكِ؟ ربما لو كنتَ بكيتَ لكنتَ نسيتها؛ لكنكَ لم تفعل.. وكان هذا خطأً فادحًا.

قلبكَ كان يطرب كلما سمعتَ الناس يُرددون كلامًا عن العلاقات ومشاكلها، عن خطوبات لا تستمر، وحكايات حب مبهرة تذبل سريعًا وتنتهي إلى فشل مهين. كان الأمل يُضيء بداخلك حينها، كنتَ ترى في فشلهم نجاحًا لك، وظللتَ – كما ينبغي لأحمق نموذجي – تنتظر هذا النبأ طويلاً، تخدع نفسك وتقول أنكَ تأمل أن تتشفى فيها، تتخيل صورتها تأتيكَ باكية ترجو صفحكَ والعودة إلى رحابكَ، تأخذك الجلالة وتقول وأنتَ تتكئ على الحروف في غيظ:

fb/mashro3pdf

- "وساعتها حديها بالجزمة القديمة".

لكنكَ أبدًا لم تُرد التشفي، بعد السنوات التي مرَّت بدا لك هذا واضحًا، الآن تُدركَ أنك من أعماقكَ، من نقطة عميقة جدًا بداخلكَ كنتَ تتمنى عودتها، وتعيش على أمل أن تُصلح الأقدار خطأها. ظللتَ معلقًا بأمل لا يملك مبررات للبقاء، لم ينقطع تقريبًا إلا حين رأيتها مصادفة في "كرموز" عند "الساعة" مبتهجة، تفرد قمصان النوم المبتذلة على الطاولة عند البائع، وأمها واقفة تُفاصله وتكاد تشتبك معه، ساعتها فقط أدركتَ أن الزفاف على بُعد أيام.. وأدركتَ كم كنتَ "عبيطًا".

هي قالت لكَ: "أوضتين وصالة يبقى مش حتجوز"، فتنازل أبوك عن الشقة الإيجار قديم التي ورثها، أخذتَ القرشين من صاحب البيت، وضعتَ على المبلغ تحويشة عمركَ ودُرتَ على سماسرة الأرض تبحث عن شقة تلاتة حجرات وصالة، وكلما وجدت واحدة، كانت تُحبطكَ بـ "لا" كبيرة، قوية وقاطعة، وتدور أنتَ مرة أخرى تبحث راضخًا، سنة بأكملها ظللتَ تبحث، وأمك تتحسر عليكَ حينًا وتجلدكَ بلسانها أحيانًا، في النهاية كان الذي كان، اكتشفتَ بعدها أن "السكينة كانت سارقاك" كما قالت أمكَ، وحين اشتريت شقة أخيرًا لم تكن سوى حجرتين وصالة، والمقاول وكأنه كان يعرف سرَّكَ حين قال لك:

"لو كنت جيت من ست شهور بس كنا بنبيع أقل بعشر تلاف جنيه".

fb/mashro3pdf

وأنتَ قلتَ في سرّك:"عشر تلاف جنيه يا بنت الكلب"، سمعها أبوكَ، التفتَ إليكَ؛ لكنه لم يتكلم وظلّ صامتًا.

بكى الولد الصغير في "الميكروباص" أمامكَ، أمه ظلت تُهدهده، لكنه لم يسكت، مددتَ يدك ووضعتها بين أصابعه، أطبق عليها وصمت ينظر نحوك مندهشًا، سحبتَ إصبعكَ من قبضته ومسحتَ قطرات الدمع الباقية على خده الطري، امتلككَ شجن فظيع وسألتَ نفسكَ: كم عمرك الآن؟، لو كنتَ تزوجتَ أيامها لكان ابنك أكبر منه، من كل الفتيات التي امتلأت بهن حياتكَ اخترت هذه تحديدًا، أمكَ كانت تقول عليها "البت أم ضب"، وأختكَ كرهتها "لله في لله"، وأنتَ تعاركتَ معهم وخاصمتهم زمنًا من أجلها، لماذا لم تتزوج بعدها؟ صادفتَ فتيات رائعات حقًا، وكانت أمكَ تُحضر صورًا لقريبات وجارات وبنات صديقات، تعرضهنّ عليكَ، وتقول لكَ: "نقي عروسة"، ترفض، فتردّ عليك غاضبة "هزمتك البت يا خايب".

هزمتكَ حقًا؟ لا لم تهزمكَ.. ربما أفقدتك رغبتكَ في الحب، إقدامكَ على مزيد منه، أخافتكَ من تجربة جديدة تخرج منها صفرًا.. وماذا تكون الهزيمة غير ذلك؟ دعنا نُسمي الأشياء بأسمائها، "هزمتك البت"، لا تُكابر. في الجنازة.. بكيتَ كثيرًا، بكيتَ كما لم تبكِ من قبل، كنتَ تحتاج للبكاء حقًا، وكانت هذه فرصة طيبة لأن تفعل..

أبوكَ كان صامتًا ومحمولاً على النعش.

fb/mashro3pdf

عُمَرْ سَعدْ

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

في مقام "أبي الدرداء"

كنا عند الميدان بجوار مقام "أبو الدردار" في ساعة متأخرة من الليل، والترام الصفراء وبرغم الليل مرت مزدحمة والبشر برزوا من أبوابها، كانت الشوارع ممتلئة بخلق كثير، وأمام مدخل بيت قديم من بيوت "اللبَّان"، تشاجرنا مع امرأة نعرفها، جاء زوجها المتوفى يحمل سكينًا، يبعد الناس عنها ويجرها من رأسها، فابتعدنا عنها وعنه وجرى الناس يمينًا ويسارًا، واضطرب الخلق في الزحام، فتهت أنتَ عن ناظري، فصرتُ أتلفت حولي، أدور في وجوه الناس أبحث عنكَ بينها، أُنادي كما اعتدتُ أن أفعل في أوقات الزحام، فمولع أنت بالاختفاء فيها.. "عمر".. "عمر"..

أقولها سريعة، أخطفها على لساني خطفًا كما اعتدتها طوال سنوات صحبتنا؛ لكنني فجأة توقفتُ عن النداء، وارتبكتُ إذ تذكرتُ بأنك لم تعد موجودًا، وأنكَ غادرتَ بعيدًا حيث لن نكون سويًا، فانحنيتُ على أرض الشارع وجثوتُ أبكي في ألم وحرقة.

ثم استيقظتُ من نومي.. حزينًا.. ووحيدًا.

fb/mashro3pdf

قبضة

fb/mashro3pdf

صاح غاضبًا:

– أنت ذكي؟. ذكي؟!

صمتُّ قليلاً، رددت بصوت مهزوم منخفض:

– "ما كنتش عارف إنه مخبر.. ما كنتش عارف".

أجبرتنا القبضة القوية الممسكة بياقات القمصان من الخلف على إحناء رؤوسنا، صاح فينا:

– اسكت يا ابن الوسخة انت وهو..

رددت غاضبًا:

– انت اللي ابن ستين وسخة..

دفع رأسي للأسفل أكثر، زاد من إحكام قبضته على القميص، شعرت بالاختناق، وأحسست وجهي ساخنًا، ركلني بركبته في فخذي من الخلف، أوجعتني الضربة، زاد من سُبابه، تابعت الرد فتبع الضربة بأخريات مؤلمات، ردّدت بعضًا من شعاراتنا القوية، مدَّ صاحبي يده نحوي، وضعها على فمي، أطبق بأصابعه على شفتيّ فصمتُّ.

صاح مناديًا وهو يسوقنا أمامه:

– العيال أهم يا عمرو بيه..

كرر نداءه، حاولتُ أن أرفع رأسي كي أُبصر أمامي فلم أستطع، فقط لمحت بجانب عيني المارة من الطلاب حولنا ينظرون، يفسحون الطريق

fb/mashro3pdf

لموكبنا في خوف وقلق، ولمحتُ وجه صاحبي أحمر ممتقعًا، سرنا أمامه في خطوات تحاول المقاومة حينًا، وتخاف دفع ثمنها أحيانًا أخرى.

فجأة أتت دفعة قوية من الخلف، سقط الجميع أرضًا، أفلتتنا قبضة المخبر المطروح بجوارنا على الأرض، وسمعنا صوت صائح يصيح:

- "اجروا".

نهضنا لا نُدرك كثيرًا مما جرى، كان المخبر لم يزل ممدًا على الأرض يُحاول النهوض، وكان شخص أو أكثر حوله يركلونه بأرجلهم، ولمحت وجوه الأصدقاء مبعثرة حولنا هنا وهناك.

شدَّني صاحبي من يدي، سحبني من وسط ذهولي ودفعني للركض، تركنا كل ذلك خلفنا وعدونا بأقصى ما استطعنا، ننعطف في كل شارع جانبي نلقاه، وحين اطمأننا أن أحدًا ليس خلفنا، اختبأنا في مدخل بيت نستريح، تحت السلم جثونا على ركبتينا نلتقط الأنفاس، نلهث بصوت عالٍ، التفتُّ له، قلت بصوت يقطعه لهاثي:

- "ما كنتش عارف إنه مخبر.. ما كنتش عارف.."

نظر لعينيَّ وابتسم.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

كل الحاجات

لم يبتسم لكَ سعد زغلول في وقفته الأبدية ذلك الصباح، ولم يرد عليكَ التحية "محمد علي" من فوق حصانه في المنشية، أما نوبار باشا فقد أطلّ عليكَ حزينًا في جلسته داخل مسرح سيد درويش واكتفى بالصمت.

النصب التذكاري في محطة مصر لم يرضَ أن تأكل تحته "الهريسة" قبل الفجر كما اعتدتَ أن تفعل لسنوات. وقهوتكَ المفضلة في البن البرازيلي كان طعمها مختلفًا، لن تستسيغها ولن تُكمل فنجانك، وستمضي مسرعًا مغادرًا تشعر باختناق.

ستُفكر أن تعرج إلى محل فهمي في نهاية شارع الصحافة كي تأكل كأسًا من "الجيلاتي"؛ لكنكَ ستُراجع فكرتكَ وتمضي، أثناء سيرك ستتسرب إلى أنفكَ رائحة ذُرة تشويه بائعة واقفة على رصيف الكورنيش في الطريق بين المنشية والأنفوشي.. ساعتها لن يكون معكَ شخص اعتاد أن يقول لك إن رائحة الذرة المشوي "بتجننه"، فتردّ عليه أن الذرة المشوي لا يستهويك كثيرًا فيشعر بالإحباط.

حين تمرُّ في شارع فؤاد لن تقول هذه المرة أن هذا الشارع أقدم شارع في التاريخ، الإسكندر الأكبر أسّس شارع فؤاد، وأسّس شوارع الإسكندرية متفرعة منه، الشخص الذي اعتاد على سماع هذه المعلومة لمئات المرات لن يكون معكَ ساعتها.

سيبدو كل شيء مختلفًا في جولتكَ في وسط البلد، العساكر أمام المعبد اليهودي، الخواجات في فندق سيسل، فرش الجرائد في محطة

fb/mashro3pdf

الرمل، الترام الصفراء، باعة الكتب على الأرصفة، بائعو الملابس أمام سنترال المنشية، البائع الذي يناديكَ كي تشتري محفظة جلدية، فاترينة مكتبة علاء الدين الباردة، الفتاة الجميلة في شباك تذاكر "سينما مترو"، الرجل الذي يناديكَ كي تشرب العصير من عنده في شارع صفية زغلول، غروب آمال، الجالسون في إيليت خلف الزجاج القديم، رائحة الفيشار في محطة الرمل، عم محمد في القهوة التُجارية، المتسوّل المعاق الجالس أمام الهيئة العامة للكتاب، والمتسوّل الذي يُغني في ميدان المنشية خلف الجندي المجهول، كل الأشياء ستبدو مختلفة وغريبة.

كانت شوارع وسط البلد في هذا الصباح خالية، وأنتَ تعشق شوارع وسط البلد وهي خالية، لكنكَ اليوم لم تحبّها، أحسست أنك تكره الفراغ، تكره الشوارع المتسعة، وتكره أن تكون وحيدًا.

ستريد القول ولن تقول، وتجول حكايات بخاطركَ؛ لكنك لن تحكي، وتئن شكواكَ بداخلكَ ولن تشتكي.

في المساء، ستُدندن وحيدًا أغانيكَ المفضلة، لن تشعر بطعم الأغاني وأنتَ تُغني وحيدًا، وحين يشتد ظلام الليل على الكورنيش وتصير الطريق خالية ستُحرج أن ترفع صوتكَ عاليًا مع فيروز وهي تُغني سهر الليالي.

في طريق عودتكَ للمنزل ستأتي إلى ذهنك أغنية محمد منير "كل الحاجات"، ستُرددها وعندما تصل لذلك المقطع الذي يُغني فيه:

" دور على اللي كان وياك...".

fb/mashro3pdf

ستتذكر ذلك الذي كان رفيق عمركَ، ذلك الذي عانقك بالأمس على باب المطار، وتركك وانصرف.. ستحاول وقتها أن تكتم دمعة في مقلتكَ؛ لكنك على الأغلب لن تنجح، ستنساب رغمًا عنكَ وتخذلكَ كما خذلتكَ كل الحاجات.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

سافر

شوارعنا السرّية تلك التي خبأناها عن أعين الناس واحتفظنا بها لأنفسنا، نُخليها من المارة، نجعلها ملكيتنا الخاصة. نصنع منها متنفسًا لأغانينا، ضحكاتنا، لعناتنا، ودعواتنا حين اليأس. نسكب مشاعرنا على أرصفتها في سكون ليل الشتاء، شوارعنا تلك التي تعرف الكثير عن أحلامنا، وتحفظ عن ظهر قلب أسرارنا، سمعتنا نحكيها كل ليلة في تسكعنا الشارد فحفظتها ولم تبح بها لأحد، عرفت أسماء حبيباتنا ولم تُخبر آباءهن، عرفت غضبنا من الأهل ولم تحكِ لهم، عرفت هزائمنا ولم تعيِّرنا بها، شوارعنا تلك سألتني عنك يا صديقي.

قلت سافر، حزنت كثيرًا ودعت لك بالخير؛ لكنها طلبت مني ألا آتي مرة أخرى إليها، فهي لا تُطيق المتسكعين الذين يأتون فرادى، يمشون وحدهم صامتين حزانى في جنباتها الهادئة، فلم أطأها منذ مضيتَ أنتَ.

الفتيات الجميلات الخارجات للتو من فتارين العرض، هؤلاء اللاتي يتصنعن العجلة في سيرهن كي تهتز أشياؤهن نافرة الرغبة المحرمة في المجال حولهن، هؤلاء الجميلات اللاتي سمحن لنا أن نسكب على شطآنهن نظرات الاشتهاء المكبوت، والاشتياق لحبيبة مجهولة لا تأتي أبدًا، تتلبسها الواحدة منهن لثوانٍ قبل أن تمضي سريعًا.

استوقفتني واحدة منهن بالأمس، سألتني أين صاحبك، فقلت غادر، رمقتني ساخرة، وانصرفت دون أن تزيد قولاً عن بسمة شامتة، ينسحب عبير عطرها المثير من الأجواء.

fb/mashro3pdf

مقهانا العجوز، الذي كنا نجلس في زاويته المنسية، لا نعرف أحدًا من رواده ولا يعرفنا أحد منهم، أطلب فيه القهوة وتطلب أنت الحلبة، نصمت فيه أكثر مما نتكلم، وفي الكلمات نُعيد الاستماع لحكاياتنا المعادة بنفس حماس المرات الأولى، ونُعيد سرد النكات الوقحة نضحك لها كأيام سماعها أول مرة، ثم نمضي مغادرين، تسألني كيف يعرف كل الناس في هذا المقهى بعضهم البعض، فلا أجد لسؤالك ردًا، فأصمت وتنسى أنتَ السؤال.

حين ولجت وحيدًا ذلك اليوم وجدتهم جميعًا ينظرون إليّ، والمقهى سألني: كيف هو؟

حكيت حكايات كثيرة عنك، وأطلت في الحكي، وحين انتهيت، قالوا أنتَ تكذب، لم تعد تعرف الكثير، أصمت .. فالصمت عن حكايات الغائبين أولى من تلفيقها، من ساعتها لم أذهب هناك أبدًا.

الرجل الأعمى الذي كنتَ تقوده إلى بيته كل مساء، سألني عنكَ، قال لي صف لي صورته كيف يبدو، خشيتُ أن أتكلم فأقول إن ملامحك تغادر الذهن، تتبدل وتنمحي، والصورة التي تحملها كاميرا الكمبيوتر كاذبة، مشوشة، باهتة تتقطع بين الحين والحين، تأتيني بصورة آخر لا أعرفه. طلبتُ أن يغير الحديث، فقال: يا ولدي تلك هي الحياة، الذين يغادرون يحزمون حقائب أحلامهم، ذكرياتهم، آمالهم، تلك التي ظننا أنها جزءٌ منا وأننا شطرٌ منها. يأخذون صورهم وأصواتهم وأحضانهم الدافئة في الحقيبة، يدلفون من بوابة صغيرة نقف نحن نودعهم أمامها، حيث لن يعودوا مرة

fb/mashro3pdf

أخرى، تُغير الحياة.. الأشكال، ويُغير تبدل الطرق النفوس، وفي العودة – إن هم عادوا– يعودون أناسًا غير الذين سافروا، تُبدلهم الأيام فيصيرون أناسًا آخرين يهابوننا ونهابهم، ويُبنى بيننا وبينهم ألف سدّ.

يسافر صاحبك، ويعود آخر غيره يكتسي شيئًا من ملامحه الأولى، تقضيان بعض الأوقات سويًا، لا يجبركما على ذلك إلا عبء الوفاء للذي سافر ولم يعد، يحاول هو فاشلاً أن يتقمص دور صديقك القديم، ثم يمضي مرة أخرى مزيحًا عنك وعنه عبء الوفاء للذكريات.

ترك الأعمى يدي ومضى في الطريق وحده.

شتاء الإسكندرية استيقظ من نومه بالأمس، سألني عنكَ، غضب حين أجبته أنكَ غادرت، سبّك وقال في حقك كلامًا بذيئًا كثيرًا، قال: إن العشرة لم تُثمر فيك. استغللت ثباته العميق وهربت منه، نسيت البرق في العاصفة ترقبه بعيدًا، ويقترب فوق شاطئ البحر حتى يصبح فوقك.

الرعد يهزّ شباك غرفتك يوقظك طفلاً خائفًا ترتمي في حضن أمك، ويوقظك شابًا حزينًا تستيقظ دومًا على الحلم الذي لم يكتمل، تتدثر فيه بالدولاب كاملاً تحت طاقمك الشتوي الوحيد، تشرب الحلبة الساخنة على المقهى، وتمضي لمنزلك في الليل الساكن سكون ما قبل "النوة"، يُلطخك طين الشوارع، وتحاول بائسًا أن تتفادى سقوط عجلات السيارات في بِرك الوحل بالقرب منك، يقول لك يا "واطي" تركت هذا كله وسافرت؟! الشوارع السرّية، وفتيات الفنارين، ومقهانا العجوز، والرجل الأعمى، وشتاء الإسكندرية، سألوني عنك فقلت لهم.. سافر.

fb/mashro3pdf

ناس

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

"................"

fb/mashro3pdf

في زحام المولد استوقفني، شدّ طرف السروال فانتبهت، كان هزيل الجسد، دامع العينين حدَّ الاحمرار، حرّك الفم الصغير بكلمات لم أتبينها وسط صخب الزحام الدائر حولنا، انحنيت أريد سماعه فالتقطت الأذنان كلمات ضعيفة وهنة:

– "يا عم.. ما شفتش وليّه.. وليّه كده معاها عيلين صغيرين؟!"

هزّ السؤال قلبي وأصابتني الرجفة.. طفل تائه من أمه في هذا الزحام؟ يا الله!، لم أدرِ ما كان عليّ فعله وقتها، وانتابتني الحيرة للحظة، قبل أن أنتبه لنفسي أشبّ على أطراف القدم أدور ببصري في الأرجاء أحاول البحث، فتوقفت منتبهًا لسذاجة المحاولة وعبثها، وعدتُ أنظر لموضعه أمامي فلم أجده، أحسست بالسخط العظيم على نفسي، أضعت الصغير المسكين بسذاجتي وقلة حيلتي، وغفلت عنه بعبثي فانصرف وسط الزحام، فطفقت أدور في أرجاء المولد أبحث عنه، أستوقف المارة أسألهم عن طفل هزيل يبحث عن امرأة معها طفلان.

fb/mashro3pdf

أشرف

fb/mashro3pdf

(١)

في أول شارعنا المطعم الشهير.. وفي آخره كانت المرجيحة.

(٢)

تركن سيارتكَ في الساحة الواسعة أمام المطعم، يلمحك العامل، يجري نحوكَ، يسألكَ منحنيًا عن طلبكَ، ثم يقفل عائدًا، تنتظر قليلاً في الساحة، مستمتعًا بالنسيم القادم من البحر القريب، دقائق ويأتيك بطلبك شاهرًا في وجهك ابتسامته، تُعطيه الحساب والبقشيش وتنصرف، يُردد على مسامعك الشكر والثناء، وينعتك بكل تلك الألقاب التي ألغتها الثورة والتي لم تُلغها أيضًا.

(٣)

أشرف استقل المرجيحة وارتفع بها عاليًا، ونحن وقفنا نتفرج في الأسفل ونهتف له، أخذته نشوة الطيران والتحليق بعيدًا، عزم أن يُرينا قدراته في ركوب المراجيح، قرر أن يدور بالمرجيحة دورة كاملة حول نفسها.

تستطيع أن تفعل ذلك بسهولة، فقط عليك في كل مرة تصل فيها المرجيحة إلى منتهى ارتفاعها أن تدفع بجسدك دفعة صغيرة ناحية الاتجاه

fb/mashro3pdf

التي تمضي فيه فتزيد الارتفاع، وحين تذهب منك في نهاية الناحية الأخرى تعطي دفعة مثلها في ذلك الاتجاه فتزيد من المدى.

أشرف كان خير من يفعل ذلك فينا، دفعة ذات اليمين.. وأخرى ذات اليسار، واحدة في هذا الاتجاه، وأختها في الاتجاه الآخر تدفع وتُحلق، ترتفع وتنتشي.

حين بلغت المرجيحة قمتها، وحين كان لزامًا عليها أن تُكمل دورتها للأسفل لم تفعل.. ظلت معلقة في القمة لثانية أو أقل قليلاً. شطر من ثانية ربما لم تتجه فيه يمينًا أو يسارًا، فقط بقيت في مكانها. صاحبنا خانه التوفيق. كان عليه أن يدفع بجسده دفعة أخرى صغيرة ليُجبرها على إكمال طريقها؛ لكنه لم يفعل؛ لذا بقت معلقة لثانية كانت كفيلة بأن تُفقده توازنه.

لأنها أرادت البقاء في القمة من أحضانها هوى وحده دونها نحو القاع، سقط على الأرض تحتها، الجاذبية بدورها لم يُعجبها أن تتحداها المرجيحة، جذبتها لأسفل فهوت سريعة غاضبة وباطشة، سقطت بكل ثقلها الحديدي على الولد المرمي تحتها، كشطت كثيرًا من لحم الساق والفخذ وكسرت عظامهما، وتوقفت "المرجيحة" بجوراه تشاهده معنا، في سكون ودِعة بينما سالت الدماء تُغطي صدأ حديد المرجيحة، وترسم على أرضها الخشبية خطًا من دم.

fb/mashro3pdf

(٤)

المدرس وقف على باب الفصل، سأل: من يعرف بيت "أشرف"؟ رفع ولد يده، وأنا لم أكن أعرف البيت؛ لكنني رفعت يدي أيضًا، قال: "تعالا".

كنت سعيدًا لأنني خرجت من المدرسة أثناء الدراسة، اتجهنا لبيت أشرف، مضينا في اتجاه البحر وقبل أن نبلغه انحرفنا ودخلنا من زقاق نعبره بالكاد، وحين خرجنا كنا قد أصبحنا على ربوة عالية تلوح لنا من عليها عشش الصفيح، كثيرةً متراصةً وملتصقةً بجوار بعضها، ونسوة بأواني متسخة قد حسرن جلابيبهن عن أرجلهن وقفن يغسلن الأواني في الصنبور القريب في منتصف الشارع.

وسط القمامة، أطفال أنصاف عراة، وآخرون مكتملو العري، والنساء اللاتي يرمقننا بفضول، مضينا على وصف الولد، وسمعتُ المدرس يميل على أذن صديقه ويقول:

- "إنه أول مرة يأتي إلى هنا"..

والآخر ردّ ذاهلاً: "كيف يعيش هؤلاء؟؟!"

عند تلك العشة التي جلس على بابها طفل عارٍ تجمع الذباب على وجهه الملطخ بالمخاط، قال الولد:

- "ده البيت يا أستاذ".

fb/mashro3pdf

سألنا عن أبي أشرف، قالوا في العمل. خرجت أمه، أبعدت الذباب عن وجه الطفل، حملته وهي تمسح بجلبابها المخاط عن وجهه، أعطاها المدرس ظرفًا وأخبرها أن تلك مساعدة من المدرسين لأسرتهم، أخذته ولم تُعط انطباعًا أو تُبدي شكرًا، حين سألها المدرس عن أحوال ابنها أخبرته أنه لم يزل في المستشفى، وأن الأطباء أخبروها أنهم قد يقطعون قدمه.

(٥)

الامتحانات جاءت ولم نرَه.. امتحنوه في المستشفى.. والأجازة أتت وانتهت، وحين عدنا للمدرسة لم ألقه، ولم أرَ الولد الذي أرشدنا للبيت أيضًا، وعرفت من حكايات الأطفال معنا أن المحافظ الجديد أزال العشش الصفيح القريبة من البحر، ونقل ساكنيها بعيدًا.

(٦)

حين تمرُّ في أول شارعنا عند المطعم الشهير وتشاهد أحدهم يركن سيارته الفارهة في الساحة أمامه، ستودُّ أن تذهب إليه وتحكي له عن قصة ولد من أيام الطفولة، ستودُّ أن تُخبره أنه يركن سيارته فوق عشته التي أزالوها، ستودُّ أن تخبره عن فراشه الذي لمحتَه من الباب الموارب حين خرجت لكم أمه، وعن طفل بمخاط على وجهه رأيتَه جالسًا هنا يومًا؛ لكنكَ على الأرجح لن تفعل. وحين تمرّ في آخره.. ستذكر المرجيحة.. ستسأل

fb/mashro3pdf

نفسكَ.. متى أزالوا تلك المرجيحة من موضعها؟! ستُفتش في ذهنكَ طويلاً؛ لكنكَ لن تتذكر، وستسأل نفسكَ عن أشرف.. وعن قدمه وهل بقيت أم أزالوها هي الأخرى؟!.

fb/mashro3pdf

شربات

fb/mashro3pdf

حماقات الحب بدت عندي منذ زمن ليس بالقريب، أقول لنفسي هذا وأبتسم كلما مررت على ناصية شارعنا.

كانت شقراء مليحة، وسمرة من طول البقاء في شمس الطريق أكسبت الملامح جمالاً فوق الجمال، ولعينيها الخضراوين جفنان ذوا رموش طويلة منتظمة وجميلة، وقسمات وجهها المتناسقة، وجلبابها الوحيد المتسخ، وقدماها الحافيتان. كانت تقترب من الناس المنتظرين في موقف سيارات الأجرة القريب من بيتنا، تبتسم ابتسامتها البريئة، وتُلقي طلبها على مسامعهم:

– "ممكن تديني ربع جنيه؟"

تصمت قليلاً لتمنحهم فرصة للتفكير والتأمل. فطرتها تُخبرها أن عليها أن تفعل، وتُخبرها أيضًا أنها قادرة على جعلهم يدفعون لها، تستطرد لتقطع عليهم ترددهم:

– "ربع جنيه مش حيفرق معاك كتير.. بس حيخليني أجيب أكل.. ربنا يخليلكم عيالكم.. مش حيفرق معاك كتير الربع جنيه".

كلمات مدربة؛ لكنها كانت تلقائية تخرج بسيطة، تتلعثم فيها حين تنطقها وفي براءتها وبساطتها كانت تُغري البعض أن يُداعبها، فتستجيب بردود مرحة بريئة تجري هنا وتشاكس هناك، تضحك مرة وتُلاعب أخرى، وتُغري آخرين بالمضايقة، فنهرب بطول بال وصبر من لا يملك حيلة ولا

fb/mashro3pdf

ردًا، وعيناها الخضراوان في كل مرة تُضفيان بنظراتهما الطيبة على المشهد براءة وصفاءً.

لم نعرف لها أبًا أو أمًا. ولا نعرف كيف جاءت ومتى ظهرت في شارعنا. فقط نعرف أنها موجودة، تقضي نهارها بين السيارات في الموقف القريب، وليلها على الرصيف في أول الشارع أو المسجد الصغير القريب حين يرق لها قلب "عم إبراهيم" فيفتح لها المسجد لتبيت فيه، تعتزل الأطفال المشردين الآخرين وتجتنبهم.

صغيرًا كنت أيامها، تصحبني أمي معها في إجازة الصيف إلى عملها، فنلقاها كل صباح، تقترب من أمي، تعرف أمي من سابق عطائها، تبتسم دون كلام، تلتصق بأمي تتمسح بها كقطةٍ صغيرة تلتمس حنانًا ودفئًا بخل به الزمان عليها. تبتسم أمي وتُربت على ظهرها، وتُعطيها بعض نقود، تنظر نحوي ونحوها تبتسم لنا ثم تمضي دون كلام.

في انتظار اكتمال الركاب في السيارة، أجلس بجوار أمي ناحية الشباك، أُتابعها تطوف بين السيارات، وكما ينبغي لأحمق صغير تدفعني العينان الخضراوان والملامح الجميلة كي أبني أحلامي الحمقاء.

"سأكبر يومًا..

وستكبر هي..

ستكفّ يومًا عن التسوّل..

حتمًا ستعمل في مهنة أخرى..

fb/mashro3pdf

ستتعلم..

وأنا سأصير شابًا كبيرًا وأحبها..

ونتزوج.."

تلحظ تعلق نظري بها فتُبادلني ابتسامة خاطفة ثم تمضي، وأمضي أنا في غزل أحلام ساذجات أنتشي بها حتى يكتمل الركاب وتمضي الحافلة إلى طريقها فأنساها بقية يومي إلى أن يأتي الغد، بسمة جديدة وحماقات صغيرة جديدة.

لا نعرف متى حقاً ينتهي حب الطفولة هذا، لكنه وكما في جمال براءته وسذاجته في انتهائه جمال نسيانه، حيث لا ألم لا لوعة، وحين نذكره لا نلعن الدنيا، لا نغضب، ولا تسيل دموعنا، فقط نبتسم ونضحك من أعماقنا.

هكذا انتهى حبي "لشربات"، لا أعرف كيف انتهى.. لكنه انتهى، أتذكره فقط حين أمرّ عليها عند ناصية الشارع حيث تقف اليوم خلف عربتها الخشبية ذات الواجهة الزجاجية تبيع الشاي لسائقي موقف السيارات القريب كنشاط علني، ويتحاكى الناس عن أنشطة أخرى ترتزق منها سرًا.

وكلما مررت عليها فالتقت عينانا كانت تبتسم لي، فأشيح بوجهي متجاهلاً، باعداً بنفسي عن دائرة الشبهات والظنون، لكنها رغم ذلك كانت تُصرّ أن تبتسم لي كل مرة، ربما ظنًا منها أنني نسيتها فتحاول تذكيري بها، وربما تفهمًا منها لأفعال الزمان التي جعلت كلاً منا في الناحية الأخرى حيث لن نلتقي أبدًا، حيث عليها أن تبتسم وعليّ أن أُشيح بوجهي وأمضي.. وربما لم تكن تبتسم لي أصلاً.. ولكنها حماقاتي التي تصحبني منذ زمن ليس بالقريب.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

أم حنان

كانت المرأة الأولى التي سمحت لنا أن نجني شيئًا من ثمار جسدها؛ لذا استحقت أن تبقى عالقة في أذهاننا أمدًا طويلاً، ستندهش حتمًا لو علمت ذلك، وتندهش نحن حين نضبط أنفسنا متلبسين بالتفكير طويلاً فيها.

أبو حنان.. لا نذكر الكثير عنه، فقط أذكره رجلاً ضخمًا، ذا قلب قاسٍ، يخشاه عيال الشارع ويفرون منه حين يرونه، نام يومًا ولم يستيقظ، وترك الأم وطفلتها وحيدتين في هذه الدنيا، وشباك بيتهم المقابل لبيتنا ذلك الذي لم يكن يُفتح إلا نادرًا، فُتح كثيرًا بعد موته ولفتحه كانت أمور.

المرأة التي لم نكن نعرفها إلا بالكاد، فقط نسمع صراخها حين يضربها زوجها، ونراها مرات قليلة نادرة في الشارع أو في شباكها اعتادت بعد موت زوجها الوقوف طويلاً في الشباك، متخففة من ملابسها مرتدية قمصان نوم يطلُّ منها بياض جسدها، وبروز ثدييها، وذراعاها العاريتان. ترقب الرائح والغادي، ويرقبها الرائح والغادي، يكثرون النظر الذي لا خجل فيه ولا مواراة ويطيلون فيه، والجسد العاري يُحمّس البعض، فيتجرأ ويُلقي جملاً ذات إيحاءات مخجلة، وغزل فاجر على أسماعها، فيما تتجاهل هي الجميع كأنهم غير موجودين، وتظل تُطلّ في فراغ الشارع.

كنت أيامها وأخي الذي يكبرني بنحو عام في تلك المرحلة من العمر، تلك التي يظن الجميع فيها أنك لم تزل طفلاً فيما تكون أشياء بداخلك تتغير، وأمور تنبت فيكَ، ومعالم جديدة تصير لجسدكَ غير تلك التي كنتَ تعرفها، وتدركَ أنتَ الذي لم يدركوه بأنكَ لم تعد طفلاً، وأنكَ تصير رجلاً،

fb/mashro3pdf

في ذلك الوقت من أعمارنا فتحت أم حنان شباكها، فنظرنا مثل بقية الناظرين، وإن بقيت في نظراتنا بقايا من براءة الطفولة وخجلها وفطرتها تأبى أن تغادرنا.

ذلك الصباح كان مختلفًا، أبي كان في عمله، طرقت باب بيتنا أم حنان، لاقتها أمي بارتباك تتساءل في داخلها عن سبب الزيارة، وتُخفي ارتباكها بترحاب زائد مبالغ فيه.

كانت ترتدي "روبًا" أبيض مرصَّعًا بورود حمراء صغيرة من نوع رخيص، ضمته ببراعة إلى جسدها بحيث تبوح ثنايا حبكته بتفاصيل المخفي تحته، وطلبت من أمي أن تُجري مكالمة هاتفية من عندنا لأنهم لا يملكون هاتفًا، وأمي الطيبة لم تُمانع وقتها، قالت لها "خذي راحتك"، أبعدتنا عن صالة المنزل حيث الهاتف وأغلقت علينا باب غرفتنا، نبَّهت علينا ألا يقرب أحدنا صالة البيت، واتجهت هي إلى المطبخ.

الزيارة الأولى أعقبتها أخريات، والغرفة المغلقة لم تعد دومًا مغلقة نستطيع أن نغافل أمي المشغولة بأمور البيت ونخرج من غرفتنا، نتظاهر بقضاء أمر ما، نمر على صالة المنزل ونبقى فيها بعض الوقت نتلصص النظر إلى جسد أم حنان التي تكون قد بقيت على أريحيتها وخففت من حبكة "الروب" على جسدها تلبية لطلب أمي بأخذ راحتها.

نرسل النظرات مكبوتة، متلذذة ومستكشفة، إلى ساقٍ مكشوفة، أو ثدي عارٍ، أو كتف سقط عنه "الروب"، المرأة كانت تعي ذلك جيدًا، تبتسم لنا

fb/mashro3pdf

ابتسامات إغواء تحاول تغليفها بحنان أمومي رديء، وتنظر لنا نظرة هي بين الإغواء والاستهزاء، فنحظى أحيانًا بنظرات ممتعة ملتهبة حينًا، وحينًا آخر نحظى بعلقة ساخنة من أمي حين تكتشف خروجنا من الغرفة المغلقة.

ضربات أمي كانت مؤلمة؛ لكن ذلك الجديد الذي يستعر فينا، وتلك المتعة التي نتعارف عليها للمرات الأولى، تدفعنا دفعًا للمقامرة والخروج، نعرف أن الثمن قد يكون مؤلمًا؛ لكن متعته كانت تستحق.

صارت أم حنان ضيفتنا اليومية، تأتينا في موعد ثابت كل يوم، وأمي الطيبة لم تعرف حيلة تمنعها بها، فاستسلمت للأمر واعتادته، وصار وجودها في منزلنا عاديًا شيئًا فشيئًا، خفف الانشغال قبضة أمي فصارت الأمور أسهل، اقتربنا نسترق السمع مع النظرات، فعرفنا أن على الطرف الآخر من الهاتف رجلاً، وحين أنصتنا أكثر، سمعنا كلامًا جريئًا، وهمسات حبٍّ هي للعهر أقرب منها للحب.

طفولتكَ قد تغادر جسدكَ حين تنتبه ذات صباح للشعيرات النابتة هنا وهناك، حين يفاجأك الجسد بالإتيان بأشياء لم تعهدها، حين تكتشف أن متعة أخرى قد أُضيفت للأمور التي تُمتعك في هذه الدنيا، فتدركَ أن جسدكَ ودَّع طفولته؛ لكنها تبقى في القلب طويلاً قبل أن تغادره، وأجسادنا إن عرفت ملامح الرجال فجأة، فإن قلوبنا تحفظ طفولتها، تأبى أن تتركها سريعًا.

fb/mashro3pdf

قلوبنا الطفلة لم تتحمل هول الموقف، أحست ساعتها بالذعر، فكرنا أن نخبر أمي؛ لكننا خفنا، تجاهلنا الأمر؛ لكننا صرنا نهرب من أم حنان، نتحاشاها، نلزم غرفتنا حين تزورنا، ونضع مسافات فاصلة بيننا وبينها، تكفينا فتحة صغيرة في الباب الموارب، نسرق منها نظرة، ونصنع بها من أم حنان نجمة لحكايات خيالاتنا الفاحشة.

القدر وكأنه أشفق على بقايا طفولتنا التي تذبحها تلك المرأة، أنهى كل شيء ذات نهار، أتى الرجل الغريب إلى شارعنا برفقتها، أقام معها في بيتها، وحين سأل الناس عنه قالت إنه زوجها الجديد.

كثر الهمز واللمز والحكايات؛ لكن الشباك عاد كما كان قديمًا لا يُفتح إلا نادرًا، والمكشوف من الجسد البضّ سُتر. لم تعد تزورنا بعدها، وقبل أن ترحل عن شارعنا يومًا، وتفارق حكايات المجالس لتحل محلها أخريات، وينساها الناس؛ لكننا وإن كبرنا وإن شاهدنا من النساء صنوفًا وألوانًا لا ننسى المرأة التي فُطِمَتْ براءة طفولتنا على طعم جسدها.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الشيخ بسيوني

fb/mashro3pdf

في "بياصة كرموز" لمحته على مقربة، يسير متخبطًا وسط الزحام، يتعثر في خطواته، وتساءلت متعجبًا ما الذي أتى به إلى هنا، اقتربت أريد المساعدة؛ لكنني قبل أن أدركه كان قد انتبه لصوت فتاتين تسيران حذاءه، فصاح:

– "خدي بإيدي يا بنتي.. إنتي يا عروسة.. خدي بإيد عمك الأعمى".

فوقفتا في حيرة واستحياء، تريدان المساعدة؛ لكن حياءهما يمنعهما أن تمسكا يد الرجل، فحللت أنا الأمر، أشرت بإيماءة من رأسي أن أتركاه، فابتسمتا شاكرتين وانصرفتا. أمسكت يده وتأبطت ذراعه أسحبه على مهل، فتهلل وجهه وظهرت عليه ملامح الرضا وقال:

– "الله يسعدك يا عروسة.. الناس في الزمان ده بقوا ناس غريبة محدش يقف لراجل أعمى وياخد إيده.."

أحسست بحجم الورطة التي وقعتُ فيها، وهممتُ أن أتكلم؛ لكنه بادر قائلاً:

"إلا قولي لي بقى.. إنتي متجوزة ولا لسه النصيب ما جاش؟"

تنحنحت بصوت ذكوري خافت فانتبه، هزّ رأسه في حيرة يحاول استيعاب الأمر، فجاءه صوتي يسأل:

–"أوصلك لفين يا شيخ بسيوني؟"

ذُعِر وتلفت بوجهه نحوي كأنما ينظر لي وصاح غاضبًا:

fb/mashro3pdf

– الله؟! مين انت؟!

رددت كاتمًا ضحكتي:

– أنا ".." يا عم الشيخ.

تكلم بغيظ:

– "انت مالك يا أخي بيا.. مش رايح في زفت حتة اوعى كده.. اوعى بقولك".

خلّص ساعده مني، دفع يدي بعيدًا عنه، ومضى سريع الخطى غاضبًا وهو يصيح:

– "أما ناس غريبة والله.. ناس غريبة".

فبقيت مكاني أضحك، أشاهده يمرق بسرعة وسط الزحام والمارة يُفسحون الطريق لعصاه الغاضبة وهو يضرب بها على الأرض ذات اليمين وذات اليسار، ويصيح "ناس غريبة والله.. ناس غريبة".

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

ابن الخال

علاقتنا لم تعد كسابق عهدها، وتكدّر صفو ما بيننا كثيرًا منذ أحضر له أبوه هذه الألعاب الصغيرة على هيئة الحيوانات، وقتها لم أُعجب كثيرًا بكونه المتحكّم الأوحد، وصاحب القرار فيما صار مصدر لهونا الأول، وولعنا الأشد دون سائر ألعابنا.

انتابني الضيق كثيرًا من قراراته المستبدة، هو وحده يمتلك قرار اللعب، متى نبدأ؟ ومتى نكفّ؟ دون أن يلتفت كثيرًا لتوسلاتي أن نكمل، أو يعير رأيي أدنى اهتمام، يسحبها من بين يديّ واحدة تلو الأخرى يضعها في علبتها، بمتعة سادية مقيتة، وكثيرًا ما رفض طلبي أن يُخرجها من مكمنها كي نلعب بها دون أسباب حقيقية مقنعة، ومما عقَّد الأمور أكثر، أن الشكوك راودتني كونه ينتظر مغادرتي، كي يلهو بها وحيدًا دوني.

ذات يوم أثناء انشغاله بأمر آخر، ودون وعي كامل مني وجدتني أُطبق بأسناني على واحدة من أقدام "السيد قشطة" بقوة وغيظ، ولم أتوقف إلا والقدم المبتورة قد بقيت داخل فمي فيما الجسد مشوه منزوع القدم مبللاً بلعابي بين يدي.

أفقت على الجريمة التي ارتكبتها، وشعرت بخوف كبير أن يكتشف أمري، وحرتُ كيف أُخفي معالم جريمتي، فهداني تفكيري أن أُلقي الجسد المشوه أسفل السرير، فيما أتخلص من القدم من بين فتحات ضلفة شباك الغرفة.

fb/mashro3pdf

أحسست براحة نسبية حين جمع الألعاب في علبتها دون أن يكتشف اختفاء "السيد قشطة" من بينها. ومع الأيام تناسيت الأمر تمامًا حتى فاجأني صراخه ذات يوم وبين يديه الحيوان المنكوب وقد عثر عليه، حاولت ساعتها رسم ملامح المفاجأة على وجهي، واصطنعت مشاطرته الفجيعة؛ لكن ذلك لم يمنع نظرة الريب والشك نحوي في عينيه.

مع الأيام تناسى الأمر، وبدأت أتقبل قراراته المستبدة بنفس مطمئنة شفت غليلها مسبقًا، لكنني لم أستطع أن أمنع ضحكات الشماتة كلما رأيته يحاول جاهدًا أن يصنع التوازن "للسيد قشطة" كي يقف على ثلاثة دون أن ينكفئ، فينظر لي ساعتها وفي عينيه انهزام وانكسار جميلان.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

أولى تاني

fb/mashro3pdf

أمي..

أمسكتني من يدي، اقتادتني للمدرسة؛ لأقف أمام العيون الصغيرة المحدقة، قالت المعلمة:

- "زميلكم الجديد".

أحسست بحرج بالغ من نظرات الأطفال الآخرين لي، أخذتني للصف الأول، أجلستني على الطرف بجوار الولد الضئيل الأسمر ومضت لأول الفصل تستكمل حديثها. أذكر هذا وكأنه كان أمس قريبًا، وكأن الهيئة وقتها كانت الهيئة، وكأن الحال كان هو الحال.

هبة ابنة الجيران..

تكبرني بعامين أو ثلاثة، علمتني هبة صنع ألعاب الورق، والحمَّى كانت قد عطلتني عن بدء عامي الأول في المدرسة في موعده، وحين انضممت أخيرًا كانت حواجز تعترضني، تصنعها أرقام وحروف وجمع وطرح وكلمات لا أدري عنها شيئًا، كان ذلك مملاً أن تضطر لقضاء أغلب يومك وسط أناس يتحدثون عن أمور لا تفقهها، دون أن تدري حتى لماذا عليك أن تفعل. كنت أقتل مللي بقضائه في صنع لعبٍ من ورق الكراسات كما علمتني هبة. ضفادع، صواريخ، مراكب، مسدسات..

fb/mashro3pdf

أمدّ يدي أسفل درج المقعد، أقضي وقتًا طويلاً في اللعب حتى تضبطني المعلمة متلبسًا، تضربني، تقطع ألعابي، لكنني في اليوم التالي أعود، وكأن شيئًا لم يكن، لم أنته إلا حين أمسكت يومًا كراسة من كراساتي، لم تجد ما تبقى فيها سوى ورقات أربع. ألقتها في آخر الفصل، أمسكت ورقة، خطت فيها بعض كلمات، طلبت مني أن أعطيها لأبي. قمت بالمهمة في بلهٍ غير منتبه لما خلفها. في المنزل فتش أبي الحقيبة، أخذ يعُدّ الأوراق في كل كراسة دوّن على ظهر كلّ واحدة عدد الأوراق المتبقية، وفي كل يوم حين عودتي من المدرسة يُمسك الحقيبة، يُحصي الأوراق في الكراسات، ومقابل كل صفحة ناقصة أتلقى ضربة بالعصا، داوم على هذا كل يوم بلا انقطاع، لم يتوقف إلا حين انتهيت ونسيت صنع ألعاب الورق تمامًا.

أبلة صفاء..

لديها عينان عسليتان، شفتان رقيقتان مطليتان بأحمر جميل، وجه أبيض، وشعر ناعم تُزيحه عن وجهها طول الوقت بلا فائدة، العلاقات بيننا كانت منعدمة تقريبًا، جافية في معظمها؛ لكنني هكذا ودون أسباب منطقية كنت مولعًا بها، في عالمي الخاص كان لها نصيب كبير أكبر من كل الآخرين، أكبر حتى من "بوجي وطمطم" في عزهما؛ لكنني أبدًا لم أتمكن من التقرب منها. بداخلي كنت أمقت الولد "إيهاب" لأنه يُقبّل خديها نهاية كل يوم، تمنيت أن أكون مكانه يومًا، حكيت لأمي عما يفعله، شجعتني أن أفعل مثله، لم تؤاتني الجرأة، بقيت تلك رغبة مكتومة حين اكتشفت يومًا

fb/mashro3pdf

ساعة الفسحة أنني نسيت طعامي، وقفت في فناء المدرسة بلا حيلة أبكي، رأتني فاقتربت تسألني عن السبب، حكيت لها، أخذتني من يدي في حجرة المعلمين أعطتني واحدًا من ساندوتشاتها، قبلتني في خدي، كان ذلك أسعد أيامي ذلك العام، ربما لن أحظى بملمس شفتيها بعد ذلك أبدًا؛ لكنني لم أنسهما.

امرأة خالي..

سألتني عن أسماء الأولاد الجالسين معي على نفس المقعد، بحسن نية أجبت:

مينا سعيد، وجورج عطا، خبطت على صدرها، قالت وهي تضحك: "يا نهار أسود"، استعادت ملامحها الجادة سريعًا، أخبرت أمي شيئًا، هزّت أمي رأسها موافقةً، أتت أمي إلى المدرسة في اليوم التالي، تحدثت مع المعلمة قليلاً، لوحت لي ثم انصرفت، طلبت مني المعلمة أن أجمع أشيائي بادلتني مع آخر في الصف الثاني، مستسلمًا انتقلت إلى هناك، كنت أعرف أن أمرًا ما في "مينا" و"جورج" قد ضايق أمي وامرأة خالي؛ لكنني لم أعرف أبدًا ما هو!!

fb/mashro3pdf

"سمير.."

جلس بجواي في الصف الثاني، يُعاني من تأخر ذهني، مخاطه سائل على وجهه أغلب الوقت، كل يوم تقريبًا يُغرق المقاعد أسفلنا في بركة بوله، يُبلل حقيبتي أحيانًا، ويظل بقية اليوم يبكي، تقتلني الرائحة، أشتكي لأمي، تضحك ولا تفعل شيئًا.

"مصطفى عبد اللطيف.."

يجلس خلفي مباشرة، تشع من عينيه براءة وابتسامة دائمة لا تفارقه، والجحيم كان مختبئًا خلف هذا، لسبب ما وجد متعته الكبرى في صفعي على قفاي، ووخزي بسن القلم في ظهري بين الحين والآخر. ولسبب ما لا أعرفه أيضًا كنت أتلقى الضربات بصبر طويل دون أن أشتكي، قرابة شهر ظل الوغد يكيل لي صنوف الأذى دون اعتراض مني. فجأة ذات صباح حين كانت أمي تُجهزني للذهاب إلى المدرسة تذكرته، على غير موعد انفجر بركان القهر الضاغط على أعصابي، بكيت، طلبت من أمي ألا أذهب إلى المدرسة، سألتني عن السبب فحكيت لها.

"أبي.."

حين انتهى اليوم كان واقفًا على باب المدرسة ينتظر، طلب أن أشير إلى الولد الذي يضربني، أريته إياه، ذهب إليه، أمسكه من قميصه، جذبه ناحيته،

fb/mashro3pdf

ضربه على رأسه، تجمد الولد بين يديّ أبي رعبًا، جحظت عيناه من الهلع، صاح أبي فيه ألا يقترب مني مجددًا، كنت أرقب هذا منتشيًا سعيدًا؛ لكن انتشائي لم يدم سوى لحظات، التفت أبي نحوي، صفعني على وجهي، صاح:

– "ما تسيبش حد يضربك يا أهبل".

ساقني إلى المنزل مبللاً بدموعي ومخاطي.

" أحمد خلاف.."

عملاق جاء من كوكب آخر يجلس وحيدًا في الصف الأخير، صامتًا أغلب الوقت، يقضي يومه وحيدًا، سارحًا على الأرجح في عوالمه الخاصة هو الآخر، لا أشعر بوجوده إلا حين تصيح المعلمة باسمه، وتتجه إليه تنهال على جسده بالعصا، كان ضخمًا، ربما في ضخامة الأولاد المخيفين في الصف السادس، حاولت عقد صداقة معه، لكنه كان يصدني، لم يعجبني هذا كثيرًا، تمنيت لو أنني مرة واحدة أضربه، بقيت هذه أمنية مؤجلة، في آخر أيام الامتحان، اقتربت منه، ناديت باسمه، التفت ناحيتي، ركلته بقدمي بين فخذيه وركضت هاربًا.

على بعد عدة خطوات وقفت، نظرت فوجدته جاحظ العينين، متكومًا على الأرض، ينظر لي بعينين ذاهلتين يسأل عن ذنبه الذي استحق عنه تلك الضربة، شعرت بسعادة كبيرة لمنظره، انصرفت إلى البيت مطمئن البال، كانوا يذيعون في التلفاز هذا الصباح برنامج "بابا ماجد"، فجلست أشاهده سعيدًا راضيًا عن نفسي كل الرضا.

fb/mashro3pdf

عبد الوارث

fb/mashro3pdf

سمَّيتُك عبد الوارث.. ربما كان اسمك أحمد أو سيد أو مرقص؛ لكنني وفي غمار ما بيننا سميتك عبد الوارث ولا أجد لهذا مبررًا، من يبحث عن مبررات في موقفنا هذا يا عبد الوارث؟!.

أعيننا كانت تتلاقى، وفي اللقاء نستجلب سويًا كل ما استطعنا من نظرات العداء المتبادل، أصرخ في وجهك.. تصرخ في وجهي، أدفعك وتدفعني، ونتبادل التشبث المرّ في حبل العناد الطويل؛ لكنني أقسم أني لمحت – خلف كل هذا – الطيبة في وجهك الأسمر، في قسماته الجنوبية المنقوعة دهرًا في الفقر، في آثار بقائه الأبدي تحت الشمس الحامية.. يزرع..يبني.. أو يصنع. قسمات الطيبة لا تكذب أبدًا يا صاحبي، تزرعها السنوات فينا رغمًا عنا، ولا تمحوها الأيام المرّة، ربما من يدري يا عبد الوارث لو كنا التقينا في زمن آخر لما كان كل هذا، ولكنا اقتسمنا رغيف خبز، وشربنا سويًا كوب شاي ثقيل، ونفثنا معًا دخان سجائرنا الرخيصة، وضحكنا يا عبد الوارث.. ضحكنا كثيرًا.

الزمن الرديء فقط وضعنا متواجهيْن، والجندية "سهم داير" من يفلت منها يا ابن العم؟ ألبسوك الزيَّ الأسود، وضعوا على رأسك الخوذة الثقيلة، أعطوك درعًا تدفعني به وعصًا تضربنا بها. قالوا لك اضرب أولاد الكلب؛ لكنك تعرف جيدًا أننا لسنا أولاد الكلب.. تعرف ذلك من كلماتنا التي نردد، من لافتاتنا التي بالكاد تفك حروفها، من ذاك العلم الذي يُرفرف في أيدينا، وتعرف من أصحاب الكروش مصدرو الآلام، تعرف جيدًا من يقهرنا ومن يقهرك.

fb/mashro3pdf

لك حبيبة في قريتك البعيدة تضربني من أجلها، تخشى أن يراك الضابط تتهاون في ضربي فيمنع عنك إجازتك ويحرمك من رؤيتها. أنا أيضًا كان لي حبيبة يا صاحبي، كان كلامها عذبًا كطعم الماء البارد في العطش، تضحك ولضحكتها تبسم عين الشمس، تخجل من كلمات حلوة أُسِرُّ لها بها في أذنها حين نسير في شارع هادئ، وأستمتع بمطاردة نظرات الحب في عينيها حين تجلس قبالتي في ترام الرمل الزرقاء؛ لكنها رحلت يا عبد الوارث، فرقنا الزمن الوسخ، والضمائر العفنة، وضيق ذات اليد، لا تضربني يا عبد الوارث، فلربما حظينا يومًا بأزمنة أفضل، وأوطان لا يفرقون فيها بيننا وبين أحبابنا. وربما أتتني حبيبة أخرى، وفي خضم عبثنا وجدت آثار عصاك على جسدي، وسألتني عن اليد التي فعلت هذا.. لا تضرب يا عبد الوارث.

قال لك أمسك أولاد الوسخة، أمي ليست وسخة يا عبد الوارث، أمي امرأة طيبة، تركتْ أمي قريتها في الزمن الغابر؛ لكنها لم تزل تحمل روح القرية داخلها، تستيقظ أمي عند أذان الفجر، تصلي الركعات وتجلس تقرأ قليلاً من القرآن – على قدر ما تسعفها اللغة – وقبل شروق الشمس تخبز خبزًا في فرن صنعته فوق السطح، تربي أمي "الكتاكيت"، ترقبهم يكبرون أمام عينيها يومًا بعد يوم، وإن أتى يوم الذبح لأحدهم لمحتُ دمعة الحزن في عينيها، يعرف الحمام أمي، لا يلتقط الحَبَّ إلا من كفيها، يعرفها أولاد الجيران حين يستبقون لأخذ الحلوى منها، تعرفها العصافير التي تنثر لها الحَبَّ على سور السطح، ويعرفها الديك الكبير حين تطارده آخر النهار كي

fb/mashro3pdf

تبيته في "العشة"، أمي ليست وسخة يا عبد الوارث، غلطتها فقط أنها قالت لي يومًا قل الحق ولا تصمت، وأنا سمعت كلامها.

قال لك ارمِهِ في العربة العسكرية الكبيرة، خانقة تلك العربة يا مسكين، كيف تطيق جلوسًا فيها بالساعات؟ قال لك اتركه واذهب هاتِ غيره. مالك يا ولد تذهب هكذا وفي عينيك الحزن؟! لا تحزن.. لا يبقى أحد خلف السور طوال العمر، سأخرج يومًا، وأنت ستخلع ذاك الزي الأسود يومًا، لا يبقى أحدٌ جنديًا طول العمر، ومن يدري يا عبد الوارث لربما نتجاور في زمن آخر، ندفع جنديًا آخر، نصرخ في وجهه، ونفتش عن ملامح الطيبة في قسماته، وفي أنفسنا نطلق عليه.. عبد الوارث.

fb/mashro3pdf

مَسَارْ

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

انتظار

حر يونيو كان قائظًا ذلك اليوم. وأنا مغبرّ بتراب اليوم الشاق، مثقلٌ بأحداثه المشحونة، أجلس منتظرًا مع الآخرين اكتمال الركاب في السيارة، تتعلق عيناي بالسائق خارجها ينادي، تسرح في السائرين هنا وهناك، تلحظ الفقر المرعب في استشرائه بين الوجوه، باديًا رغم المحاولات البائسة للتحايل عليه.

وكما في الانتظار دومًا يذهب البال مني بعيدًا، ويعود بالحمل الثقيل.. الذكريات التي طالما ظننت أنها غادرتني، فتعودني كما بين الحين والحين ثقيلة متواطئة، وحكايات الحب المفقود ذلك المنشوب بين أضلعي أبدًا، وكل تلك الأمور التي يدور الفكر حولها طويلاً ويعود كاسفًا خائبًا بلا حيلة.

اكتمل الركاب أخيرًا، جلس السائق على كرسيه، وهمَّ بالانطلاق، انفلتت مني تنهيدة طويلة، ودون أن أنتبه خرجت من فمي وبصوت عالي الكلمات:

"يا مسهل الأحوال يا رب".

انتبهت على الأصوات حولي ترد "يا رب.. يا رب"، وتبادلت الوجوه الابتسامات، والتقت تتطلع إلى بعضها البعض تتعارف، ينمحي منها الوجوم شيئًا فشيئًا، ويحلُّ محله شيء من بشرٍ بلا مبررات معقولة.

fb/mashro3pdf

رصيف

fb/mashro3pdf

بقامته نصف المحنية والهيئة العجوز المرهقة، يقف على الرصيف عند البقعة التي تبدأ السيارات عندها في التهادي قبل التقاطع الرئيسي، ممسكًا رغيف خبز ينظر للراكبين في سياراتهم، يضيّق عينيه، يرفع يده في بطء نحو رأسه بتحية متملقة، يرسم على وجهه ابتسامة غير صادقة كثيرًا، يحني القامة المحنية أصلاً، يقترب مادًّا كفًا مبسوطة نحو نوافذ السيارات التي نادرًا ما تفتح لتُعطي، ويتمتم بدعوات متقنة.

بين السيارة والأخرى كانت اليد المرفوعة تهبط، والأخرى الممدودة تنسحب، تضيق الابتسامة، وتعود القامة إلى انحنائها الأصلي، تتسع العينان، يقف ساكنًا للحظات في انتظار السيارة التالية كي يبدأ الأمر من جديد.

غير بعيد كان الآخر عجوزًا متهالكًا أيضًا، يجلس على أرض الرصيف، ضامًّا رجليه إلى جسده، مسندًا ظهره لعامود النور الأخضر الكبير، وعلى وجهه ترتسم علامات حزن أو غضب، يقلب نظره في المارة حوله.. السيارات العابرة.. والعجوز الآخر، يمسح وجهه من غبار الطريق، ويدس رأسه بين ركبتيه أغلب الوقت.

وأبقى أنا من النافذة متطلعًا أرقبهما منتظرًا اللحظة الحاسمة.. إذ كانا بين الحين والحين وكلما أدرك أحدهما التعب يتبادلان الأماكن، وانفعالات الوجوه، ورغيف الخبز، والكلمات المتقنة الموجهة للرب.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

عندما يأتي الصباح

وتناهت إلى أذني الضوضاء من بعيد، هرعت إلى الشباك في الغرفة المجاورة، ممسكًا كوب قهوتي الصباحية، وقفت عند نافذة الغرفة، نظرت من خلف فتحات الشيش المغلق واطمأننت لأن الأمر كان في أوله ولم يفُتني.

من خلف فتحات "الشيش" المغلق وقفت أتلصص على الوجوه الصغيرة، طالعتني مئات منها، منمنمة صغيرة وجميلة متراصة بجوار بعضها تؤدي ذات الحركات التي لا معنى لها كشأن كل صباح، تستجيب لنداء المنادي.. صفا.. انتباه.. يضطرب الصف حينًا وتدوس أقدام على أقدام مرات، وتتعثر أخرى في حقائب ثقيلة ملقاة على الأرض. ألمح خبثاء يلكزون الآخرين بمرافقهم وتضرب الأيادي الصغيرة على الأفخاذ في تمارين الصباح منغِّمة لحنًا طفوليًا طيبًا، وأرقب أنا عرض البراءة هذا مبتسمًا سعيدًا.

تتوالى الحركات تباعًا، كما هي لم تتغير منذ طفولتنا، أتسلى بالتفرس في الوجوه الصغيرة التي لا تزيد في حجمها عن كف يدي إلا قليلاً، فأراها تشي بشخوص تكتمل سريعًا لتزاحمنا في هذه الحياة.. وجوه بعيون غاضبة، ووجوه بعيون عفاريت أشقياء، وجوه تحمل البسمة ووجوه زينها حزنها الطفولي.

ثم ينادي المنادي"تحية العلم"، يتقدم ثلاثة هم الأكبر بخطوات عسكرية مصطنعة ومضحكة، يطوحون بأرجلهم وأيديهم في تنافر فاضح

fb/mashro3pdf

وجميل، وعلى الربوة العالية بجوار المدرسين وقفت فرقة الموسيقى الصغيرة، بأدوات بسيطة.. بيانو صغير، طبلة أكبر قليلاً من الضارب عليها، إكسلفون، وأوكورديون ينوء بحمله حامله الضئيل، تعزف الفرقة السلام الوطني، وتتردد تحية الصباح.

تأتي لحظة الذروة في عرضي الخاص، موعد الانصراف إلى الفصول، أفتح أذني جيدًا لأستمع لمرة ربما تجاوزت الألف لفرقة الموسيقى وهي تعزف، وكلي امتنان لمدرس الموسيقى العبقري الذي علّم الأولاد عزف الموسيقى الأحب إلى قلبي ليعزفوا مقاطع مختلفة منها كل صباح، أتهيأ لمعرفة لحن اليوم وكلي شغف.. الله.. "حنا السكران" أي عبقري أنتَ يا مدرس الموسيقى الجميل. ينساب اللحن الصغير، فأترك نفسي لسحره وأردد كلماته..

"كان الزمان وكان في دكانة في الحي، وبنيات وصبيان نيجي ونلعب ع المي.. ويبقى حنا السكران غني.. غني وتحزن بنت الجيران".

وحين تصل الموسيقى إلى الجزء الذي تغني فيه فيروز "واوعي تنسيني.. اوعي تنسيني" تكون سكرتي قد بلغت مداها، وينساب اللحن في كياني ناعمًا يمس شغاف قلبي، ويطأ المواطن المجروحة فيه، فأظل أردد بلا انقطاع "اوعي تنسيني.. واوعي تنسيني".

أفارق الشباك ولم تزل الجملة تتردد في فمي كمجذوب امتلكته حمى الذكر في الحلقة، وتدنو ذكريات حبي، حبي ذلك الذي لم يكتمل، ويتراءى

fb/mashro3pdf

لي حلمي الجميل البعيد مداعبًا، وأنا تارك نفسي للحن المنساب، يتوقف العزف فأبتسم، أُكمل بصفارة من فمي، والنشوة لم تغادرني، وأنطلق ليومي المُثقَّل المُتعِب، سكرانًا بعزف الأولاد، وارتجاع صوت فيروز في نفسي، والذكريات، والأحلام.. سكرانًا تمامًا كما لو كنت "حنا" وكانت الأغنية لي.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

مساء الأحد الأخير

أُلملم الأوراق المتناثرة، أجمعها في كومة غير مرتبة، أضعها في درج المكتب وأغلقه، أُسلم الموظف الواقف معي مجموعة مفاتيحي، أتجاهل النظر إلى عينيه، وأتجاهل العيون الأخرى المحدقة فيّ وأنصرف دون أن أُسلم على أحد. أشعر بالحزن يعتصرني كلما تذكرت أن ذلك آخر أيامي، "أنا السبب" أُرددها بداخلي مقرًا بخطئي حين اتخذت قرار المواجهة الحمقاء، كنت أسير خطواتي الأخيرة مغادرًا فيما كان الفكر شاردًا يتساءل عن القادم بقلق كبير.

أسير من المبنى الذي فيه العمل إلى محل القهوة القريب، أطلب من عامل المحل العجوز قهوة بدون سكر، أتجاهل النظر لعينيه، أتناول الفنجان من يده المرتعشة وأنتحي جانبًا أرشف في بطء. عبر زجاج الواجهة أتطلع، أتسلى بمراقبة السائرين في الطريق، أستمتع بمشهد انكماشهم في أنفسهم مختبئين من أمطار آخر الشتاء، أزدرد القهوة، أستحث طعمها المنشود دون جدوى.

بين الحين والحين بنصف عين أختلس نظرة نحو صانع القهوة العجوز، أراقب يده الذابلة تهتز وهي تُقدم الفنجاين للزبائن، أُعجب كما عجبت دومًا من قدرته على ضبط مدى الارتعاشة. وبرغم كل هذا الوهن الذي يُلاحق تلك اليد إلا أنني لم أرَ القهوة تنسكب أبدًا حين يقدمها. يهزّ رأسه لأعلى وأسفل في أدب ويبتسم ابتسامة واسعة حين يُناول الزبون الفنجان – هكذا يطلبون منه أن يفعل هنا – يعود للخلف يستند مستريحًا للجدار في انتظار زبون آخر، تذبل ابتسامته سريعًا ويعود يكسو وجهه ملامح وجوم

fb/mashro3pdf

تبدو رغمًا عنه. يلحظ مراقبتي فتهرب أعيننا من بعضها سريعًا. هكذا الحال بيننا منذ ذلك اليوم الذي مال فيه على أذني يقول إنهم سيجعلون العاملين هنا يرتدون "فانلة" صفراء مثل لون فريق الكرة البرازيلي. حاولت يومها إخفاء إمارات الضحكة الساخرة من على وجهي، وابتسمت أحاول التخفيف عنه، قلت:

- وإيه يعني؟

هز رأسه في أسى حقيقي، قال:

- حيمسخرونا على آخر الزمن..

أشحت بوجهي لائمًا، قلت:

- ما تكبرش المواضيع..

نظر لي مغتاظًا، ضيق عينيه وقال:

- انت مش فاهم حاجة.. مش فاهم حاجة خالص.

أشاح بيده وتراجع للخلف يستند على الجدار، تجاهلني ووقف ينتظر قدوم زبون آخر، أمسكت فنجاني ومضيت لأقف وقفتي المعتادة خلف الزجاج، من يومها انقطعت الأحاديث تقريبًا بيننا، بات يعاملني كأي زبون آخر وكأنه لا يعرفني حتى، يكتفي فقط بمنحي الابتسامة العادية وإحناءة الرأس البسيطة كما يطلبون منه، من يومها والقهوة فقدت طعمها، والمكان يزيد كآبتي؛ لكنني لم أقدر أبدًا على تغيير عادتي تلك. أتخلص من فنجاني

fb/mashro3pdf

سريعًا، أغادر وحين أستدير ألمحه بطرف عيني ينظر نحوي، وتهرب أعيننا سريعًا كما يحدث دومًا.

مساء الأحد يبدو "سعد زغلول" ذلك الشارع الصاخب في وسط البلد شارعًا بطعم آخر، محلات مغلقة، مارة قليلون، وفوانيس نصف مطفأة. يضفي هذا عليَّ مسحة حزن ممتعة، أتسكع في الشارع وحيدًا، تأخذني قدماي ناحية ميدان محطة الرمل، أتصفح الجرائد لدى الباعة، أجد بعض المجلات والكتب الجيدة، أفكر في شراء بعضها؛ لكنني أحسب ميزانيتي الشهرية فأتراجع عن الشراء. أدخل دكان تلميع الأحذية أسفل سينما "ستراند"، أنتظر انتهاء الزبون الجالس على مقعد التلميع حتى ينتهي، يضرب فتى جنوبي الملامح جلبابه متسخ على الصندوق أمامه معلنًا أنه انتهى. ينظر الرجل لحذائه، يمتقع وجهه، يصرخ في الفتى:

- "انت حمار؟! ده مش لونها.. انت بوظتها".

يقسم الولد أن هذا لون الحذاء. يسبّه مرة أخرى"حمار".. يُلقي جنيهًا في وجهه وينصرف. ينظر بين كل خطوة وأخرى إلى حذائه قبل أن يبتلعه الشارع، يناول الولد صاحب الدكان الجنيه في حركة آلية وعيناه محلقة في فراغ.

أجلس على الكرسي، أنتظر أن يبدأ الفتى في عمله؛ لكنه يبقى ساكنًا ولا يتحرك، يقطع السكون فجأة حين يهوي بالفرشاة على الصندوق أمامه بين قدميَّ مباشرة، يدوي صوت عالٍ لضربته، يصرخ..

fb/mashro3pdf

"ملعون أبو دي عيشة".

يضطرب صاحب المحل، يقف ويصيح..

"بس.. اسكت".

ينظر نحوي صاحب المحل، يمط شفتيه ويهز رأسه أسفًا، أهز رأسي.. لا عليك، يقطع الفتى حوار رؤوسنا المهتزة ويقول:

- "ده مش أول واحد يشتمني.. مش أول واحد".

يسود صمت ترقب، تتعلق أعيننا به، يأخذ نفسًا عميقًا ويمد يده ناحية طرف "بنطلوني"، يثنيه، يتناول الفرشاة ويبدأ تلميع الحذاء وكأن شيئًا لم يحدث، يجلس صاحب المحل علي مقعده مرة أخرى وعيناه لم تزالا معلقتين بالولد مضطربتين أيضًا. أُخرج من علبة سجائري واحدة، أناولها للفتى، يتناولها دون أن يشكرني، يركنها جانبًا ويواصل عمله. أقول مواسيًا:

"معلش.. أكل العيش صعب".

يهز رأسه موافقًا دون أن يرفعها.

يقول: "آه.."

يقول صاحب المحل من بعيد معلقًا:

- "كُل عيش يا ابني".

يتجاهله ويكمل عمله في صمت، ينتهي، يفرد ثنية البنطلون، يخبط على الصندوق أمامه خبطة خفيفة، أناوله الحساب وبقشيشًا وأنصرف.

fb/mashro3pdf

أفكر في الموقف للحظات متأثرًا، أطرده سريعًا وأنا أقول في سري"هوا أنا ناقص اكتئاب.. أهلك يا ابن المَرة".

أكمل تسكعي، أسير ناحية ميدان القائد إبراهيم، تقفز إلى رأسي أحداث العمل الأخيرة مرة أخرى فأزداد اكتئابًا. قدت ثورة من أجل بعض الحمقى، وفي ساعة المواجهة وجدتني وحيدًا. أبتسم، أقول لنفسي لم تكن الأولى على كل حال، ولن تكون الأخيرة على الأرجح. أتذكر حين كنا صغارًا، حين كان أولاد خالتي يحرضونني على سرقة السجائر من علبة جدي، يستمتعون بمراقبة فعلتي بنفس القدر الذي يستمتعون فيه بالوشاية لأمي ومراقبتها تضربني عقابًا على فعلتي، أتذكرهم فأبتسم وأشعر بحنين جارف لتلك الأيام.

أمضي عائدًا للشارع الرئيسي، أشير "لميكروباص"، أنتقي كرسيًا فارغًا يجاور الشباك، يسير "الميكروباص" أمتارًا قليلة ثم تستوقفه فتاة، أُلقي عليها نظرة متفحصة قبل أن تركب؛ ملابسها مثيرة، وعلى وجهها أحمر شفاه "زينة صاخبة"، في داخلي أتمنى أن تُشاطرني الكرسي، تتحقق أمنيتي وتجلس بجواري، يلمس فخذها فخذي فجأة حين تجلس، أهمّ بالانكماش في جلستي؛ لكنني أتوقف، أستسيغ لنفسي مبررًا "إن لم يعجبها فعليها أن تبتعد"؛ لكنها لا تبتعد، تُريح جانب جسدها بأكمله ناحيتي وتجلس بلا تحفظ، يسري إليّ الدفء من الجسد المتواطئ، أشعر بالجانب اللين في جانبي فيستثيرني. يزيد استثارتي رائحة العطر الأنثوي القوية، أنظر ناحيتها فتنظر لي في نفس اللحظة، لوهلة تضرب أنفاسها وجهي فأشعر بقشعريرة،

fb/mashro3pdf

ألمحها بجانب عيني تبتسم، يسري فيَّ تيار كهربائي لذيذ، نمضي الطريق كله متلاصقين، فأنسى لفترة وجيزة شجون اليوم في وسط دفء دفقات المتعة القادمة من الجانب.

أصل مقصدي، أطلب من السائق النزول، أستدير بعد نزولي متعللاً بإغلاق الباب، أنظر لها؛ لكنني أجد ملامحها جامدة ولا تنظر ناحيتي وكأن آخر هو الذي كان جسده ملتحمًا بجسدها منذ قليل، يمضي الميكروباص سريعًا، تظل عيني معلقة به إلى أن يختفي عني، فأستدير وأمضي.

أتجه إلى المقهى على أول شارعنا، أُقابل صديقي الطبيب النفسي، ألوثر بحكايات اليوم، يهزّ رأسه في رتابة، يرسم على شفتيه بين وقت وآخر ابتسامة صفراء، كنت أُدرك تمامًا أنه سارح في عوالم أخرى؛ لكنني أُكمل استرسالي، حين انتهيت يبتسم يقول لي:

- "أنت مُصرّ تتعب نفسك".

أهز رأسي ولا أرد، يكتب لي في ورقة بأسماء بعض الأدوية كما أعتاد أن يفعل من قبل، أقول: إن هذه الأدوية ستقتلني. يبتسم ويقول: لا تقلق ستدمر جهازك العصبي أولاً وحين تقتلك لن تشعر بألم كبير. أضحك، أحكي له حكاية فتاة الميكروباص.

يسألني لماذا لم أتعرف عليها؟!

أهز كتفي، أقول: "مش عارف".

fb/mashro3pdf

يغمز بعينيه ويقول:

"ما تقلقش.. المومسات موجودات دائمًا، ستعثر على أخرى بسهولة إذا بحثت جيدًا".

أسأله:

"تفتكر كانت مومس؟"

ينظري لي وعلى وجهه ابتسامة تسخر من سذاجتي..

"إيه..!! عندك شك؟!"

أرد: ".. مش عارف.."

لا يُعقّب ويكتفي باتساع حجم ابتسامة السخرية في وجهه، أُصافحه وأمضي.

كان الليل قد انتصف تقريبًا وأنا عائد إلى البيت، رذاذ أمطار آخر الشتاء كان مستمرًا في هطوله، كنت وحيدًا تقريبًا في الطريق بلا جدوى أطرد الأفكار المتهافتة في رأسي، أفكار وأسئلة وعلامات استفهام وحيرة بلا نهاية.

كيف سأبدو حين أصير في مثل عمر عامل محل القهوة، عن رعشة اليد ومتى تُداهم المرء تحديدًا، عن عامل محل الأحذية، عن الثورة، وعن الصمت، عن أكل العيش، وعن حكايات حبي التي لا تكتمل دومًا، ترد على ذهني فتاة الميكروباص مرة أخرى، هل كانت حقًا مجرد مومس تسعى

fb/mashro3pdf

نحو زبون؟ تُزعجني الفكرة، أتذكر كيف كانت اللحظات التي قضيتها مستكينًا إلى الجانب الدافئ بلا شجن ولا قلق، أقول لنفسي ربما الرب رقّ لحالي.. ربما علم أنني أحتاج إلى دفء لمسة حانية، وابتسامة دون مقابل، ولحظة أمضيها في سعادة حتى وإن كانت تافهة.. لم تكن مومسًا؛ لكنها كانت ربتة الرب على كتفي يواسيني في ليلتي الحزينة، يريحني الاستنتاج فأمضي مرتاحًا أصعد سلالم بيتنا القديمة، وأنا أغالب النوم المطبق على أجفاني.

fb/mashro3pdf

مدينة

الرجل العجوز

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

رغبة ما..

fb/mashro3pdf

كانت النوة قد حلت على الإسكندرية ذلك اليوم، برقت السماء وسمعنا هزيم الرعد وسرعان ما غرقت الشوارع، احتوى كفي الصغير في يده الكبيرة، مضى مسرعاً وبدلاً من أن يسلك شارع "الفلكي" كما العادة في طريقنا لشارع "العطارين"، سلك شارع "سيزوستريس"، هرولت محاولاً أن تُواكب خطوتي الصغيرة خطواته، أتحاشى قدر الإمكان الطين الذي تُثيره قدماه في الطريق الموحل، لمحت عيناي محل الألعاب في الشارع، وانجذبت كما لم أنجذب طيلة صباي لمشهد الدراجة خلف الواجهة الزجاجية، قلت :" عايز بسكلتة.."، تجاهل كلماتي ومضى كأن لم يسمعني، تركني أمام باب المدرسة وانصرف.

في الظهيرة أتى ليصطحبني، كانت السماء لم تزل غاضبة، مضينا من جديد في "سيزوستريس" وللمرة الثانية لمحت الدراجة خلف الواجهة الزجاجية، كررت طلب الصباح، نظر نحوي غضبًا، انكمشت في نفسي متفاديًا لطمة لم تصلني، شدني من يدي أكثر ومضى، قال كلمات عن "الفلوس"، "العيال"، لم أعِ تمامًا ما قاله، لكنني في اليوم التالي حين مررنا من جديد من أمام محل الألعاب أدركت جيدًا أن عليّ ألا أعاود ما طلبت.. نظرت بحسرة وكتمت رغبتي بداخلي.

لم نمرّ من "سيزوستريس" بعد ذلك مرة أخرى، لكنني وبعد سنوات طويلة وكلما أتت النوة وزينت الغمامة سماء المدينة، هاجمتني رغبة الاقتناء، وغمرني شعور كبير بالذنب.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

حكايات أخرى جديدة..
عن قصة الخلق

في البدء.. كانت الإسكندرية ومن بعدها بنوا بقية الكون..

من قبل أن يهبط آدم من الجنة، سكنت الملائكة الأرض زمنًا، اختاروا بقعة عند البحر المتوسط، قبالة جزيرة فاروس عند الفنار، وبحجارة أُحضرت من السماء شيدوا الإسكندرية، على طراز مدن الجنة، وأول ما بنوا فيها كان شارع "طيبة"، جعلوه شارعًا هادئًا، يمر محاذيًا شريط الترام من ناحية وشارع بورسعيد من ناحية أخرى، فلا تصله ضوضاء شارع بورسعيد، ولا تهز بيوته الترام الزرقاء الحائرة أبدًا ما بين الرمل وفيكتوريا ليل نهار منذ أن بدأ الرب الخليقة..

الرب كان غاضبًا من آدم حين ارتكب الخطيئة الأولى، لذا أنزله إلى الأرض في بقعة بعيدة عن الإسكندرية ولم يدله أبدًا على الطريق إليها، وآدم الذي طالما استمع إلى حكايات الملائكة وحنينهم الدائم إلى مدينتهم المتروكة على الأرض بقي أعوامًا طويلة يجوب الأرض باحثًا عنها.

في بحثه طاف آدم بالأرض مرات سبع، صعد الجبال وعبر البحور، حارب الوحوش ولاقى الأهوال دون أن يهتدي أبدًا، وكلما التقى واحدًا من الجان الذين سكنوا الأرض قبله كان يسألهم عن المدينة التي طالما سمع الملائكة يتذكرونها بشوق، يسألهم عن الأسواق في "العطارين" و "الميدان"، عن شارع النصر و"السبع بنات"، عن "المنشية" و"كوم الدكة"، وعن البن البرازيلي حيث كانت مخلوقات من نور تقضي هناك آخر النهار

fb/mashro3pdf

لتستريح وتشرب قهوتها، والجان امتثلوا لأمر كبيرهم الذي نهاهم أن يرشدوه إليها.. لذا بقي آدم حائرًا عمرًا طويلاً ولم يسترح قط..

حين كانت الجريمة الأولى على سطح الأرض، أراد الرب أن يُخفف عن آدم وأبناء هابيل وطأة الدم الأول الذي سال، فهداهم أخيرًا إلى الإسكندرية، بعد أن اجتازوا بوابة المدينة وأصبحوا في محرم بك شقوا طريقهم في "أمير البحر" متجهين إلى قلب المدينة، مبهورين بالمباني العجيبة المبنية من طوب السماء، وحين أصبح آدم وأحفاده في ميدان "الرصافة" عند تلك البقعة حيث تدور الترام الصفراء حول نفسها لتعود من جديد لتحتضن طرق المدينة الجنوبية المنسية ولتقابل في المساء أختها الزرقاء في محطة الرمل، شعر آدم بشعور غريب لم يألفه من راحة وسكون يسريان في أوصاله، تمدد على الأرض وقال "الآن فقط استرحت" ثم مات، وهناك دفنوه وأقاموا قبره..

الرب أعطى المدينة لأبناء هابيل، عوضهم بها عن جنة الأجداد المفقودة، كتب عليهم أن عيشوا فيها في ظلّ الحب، وألا تكسروا قلب المحبين إذا أحبوا، ولأجل أن يُتمّ الرب سلامه عليهم حرم المدينة على أبناء قابيل وكتب ألا يقربوها بمسافة ألف ألف ميل.

في شارع فؤاد عند تقاطعه مع شارع النبي دانيال، وفي ذلك البيت الذي في أسفله محل "فينوس" تزوج أول حبيبين من أبناء هابيل حيث أنجبا أولادًا كثيرين، وعمروا الإسكندرية شرقًا وغربًا وأقاموا في بيوت الملائكة الممتدة من عند الميدان حيث كنيسة سانت كاترين غربًا، وانتهاءً بالميدان

fb/mashro3pdf

الآخر حيث مسجد "سيدي جابر" شرقًا، من موضع المنار القديم شمالاً حيث كان القمر يسكن قبل أن يصعد هو الآخر إلى السماء، وإلى "الرصافة" جنوبًا حيث قبر آدم وحيث تدور الترام الصفراء حول نفسها لتعود من جديد لتحتضن طرق المدينة الجنوبية المنسية ولتقابل أختها الزرقاء في محطة الرمل كل مساء.

عاشت ذرية هابيل في المدينة سعداء ألف عام، محافظين على عهود الرب بأن يعيشوا في ظل الحب وألا يكسروا قلوب المحبين إذا أحبوا، إلى أن أتى ذلك اليوم، حين كان صياد شاب من أبناء السيالة مارًا في شارع فؤاد، عند مقام "سيدي المتولي"، هناك لمح فتاة بعينين عسليتين تُطلّ من شباكها ناحية البحر ويداعب النسيم أطراف شعرها، هوى الصياد في حب الفتاة، بقى عامًا كاملاً يمر في نفس الموعد تحت شباكها، ويظل لساعات جالسًا متأملاً الوجه الملائكي حين يُطلّ ناحية البحر، حين مرّ العام أتى أهل الصياد الشاب ليخطبوا الفتاة لابنهم، لكن الفتاة وأهلها رفضوا ذاك الزواج، قالوا صياد.. وفقير.. ولا يناسبنا.

ارتجت السماء غضبًا حينها، أمطرت مطرًا غزيرًا، كانت تلك النَوَة الأولى التي تضرب المدينة، استمرت الأمطار تهطل لأعوام ثلاثة دون أن تهدأ حتى غرقت أغلب شوارع المدينة، وتجمع الناس على التلة في كوم الناضورة يناجون الرب ألا يؤاخذهم بذنب الفتاة ذات العينين العسليتين وأهلها، وبعد طول مناجاة استجاب الرب لهم وأوقف المطر، لكنه قال إنهم ماداموا قد خالفوا العهد الذي عاهدوا، وبأن ثمة محب مكسور قلبه بين جنبات مدينتهم، فمن اليوم لم تعد المدينة محرمة على أبناء قابيل..

fb/mashro3pdf

أتى أبناء قابيل إلى المدينة أفواجًا، شاطروا أبناء هابيل فيها، هدموا بيوت الملائكة وأقاموا مكانها أبراجًا شاهقة لتستوعب كل تلك الأعداد الوافدة الجديدة القادمة من كل ناحية لتستوطن المدينة، وفي كل صباح كان بيت من بيوت الملائكة يهوي ليرتفع مكانه عمارات شاهقة وأبراج عالية مصمتة خالية من كل معنى من معاني الجمال.

بذنب البنت ذات العينين العسليتين يعيش أبناء هابيل اليوم معاناتهم في مدينة الملائكة المهجورة، يتدافعون مع أبناء قابيل كل صباح، يحاولون الحفاظ على ما بقي من مدينتهم.

في الصباح الباكر من كل جمعة، حين يكون أغلب الناس نائمين.. سترى أبناء هابيل منتشرين في شوارع المدينة، يطوفون فيها، يلتمسون ما بقي من بيوت الملائكة، ستجد في عيونهم الحزن على مدينة الملائكة المغدورة على يد أبناء قابيل، وستجد في كل مكان محيين مكسورة قلوبهم.

ستراهم عند ميدان "الرصافة" واقفين أمام قبر أبيهم المدفون في البقعة حيث تدور الترام الصفراء، يقرأ المسلمون منهم الفاتحة ويصلي المسيحيون صلاة يا مريم العذراء لأبيهم الكبير.

ستبقى الترام الزرقاء حائرة حيرتها الأبدية بين "الرمل" و "فيكتوريا" لا يخفف من وطأة حزنها إلا ملاقاة أختها الصفراء المراهقة في محطة الرمل كل مساء.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

نداء مرّ

حسنًا.. تلك سحابة رمادية أخرى مرت الآن، وهذا الشتاء الجديد آتٍ، وأنت يا جدي العظيم المطروحَ أبدًا على فراشك لن تستطيع الوقوف في النافذة لترقب هطول الأمطار وتتحيَّن التقاط لحظات البرق الخاطفة، ستُمطر السماء قريبًا يا جدي فهل ستذكر حينها أيام كنت تُدثرني بملابس صوفية ثقيلة، تطمئن بالذات على أذني المغطاة، وتصحبني من يدي لنتمشى معًا تحت المطر أم أنك توقفت نهائيًا عن التذكر؟

لو وقفت الآن في نافذتك يا جدي لرأيت السحاب الرمادي قادمًا من ناحية البحر، ولرأيتهم يهدمون "كازينو الشاطبي"، ولرأيت أعمدته التي بقيت سنين طويلة منغمسة في ماء البحر تقاوم قسوة الموج، والملح والريح العنيد، تنكفئ الآن، وأنا لن أخبرك بهذا.

أمام تلك الأعمدة أغوى البحر جدي يومًا ثم خانه بعدها، جدي قاوم الموج بكل استطاعته، كافح عنيدًا، حارب البحر وانتصر. على رمل الشاطئ انكفأ يطرد الماء من صدره ويستعيد قوته، وحين أدرك أنه بخير قام واقفًا، استدار للبحر، بصق على الموت ثم انصرف والموت حملها له في نفسه ولم ينسها.

جدي حين سقط على عتبة البيت أحسّ بالألم في جنبه؛ لكنه لم يتأوه، رفض الأيدي الممدوة وقال سأقوم وحدي فلا يمدن أحد منكم لي يدًا؛ لكنه لم يقم وكلما اقتربت يد تحمله صاح غاضبًا وأزاحها بعنف، وبقينا جالسين بجواره نصف يوم ننتظر،حتى طأطأ رأسه أخيرًا وقال حسنًا احملوني إلى السرير، حملناه؛ لكنه رفض أن يعترف أنه انكسر، قال إن أحضرتم

fb/mashro3pdf

طبيبًا أهنتكم وأهنته، لا تحضروا الطبيب سأقوم غدًا، ظل أيامًا راقدًا يكتم الألم، وبقينا ننتظر، بعد أيام خمسة بكى وقال.. لقد انكسرت، فلتحضروا الطبيب إذن.

لكن جدي لم ينكسر يوم أن سقط على عتبة البيت.. جدي انكسر قبلها.

جدتي قامت من نومها يومًا، كنست أرض البيت الواسع، أزاحت أعشاش العنكبوت عن الأركان، وضعت السمك المغموس في "الردّة" فوق "البابور"، حكت للصغار حكايات عن غيلان وأميرات يتزوجن الفقراء، قدمت السمك لجدي ثم جلست كعادتها على كرسيها تنتظر، والموت قرر أن ذلك سيكون يوم انتظار أخير فأتى. يومها كان اليوم الذي انكسر فيه جدي، بكى بكاءً مرًّا، لطم على وجهه، والناس من حوله قالوا هذا كذب الصدمة لا غير؛ لكنه لم يكن.

ماتت جدتي منذ سبعة عشر عامًا ومن يومها، وفي كل صباح يستيقظ جدي باكيًا ومن على فراشه ينادي في أرجاء البيت عليها، ثم ينادي على الموت أن يأتي ويأخذه، والموت يثأر للبصقة القديمة.. ولا يأتي أبدًا. يا أصدقائي المغفلين لاينكسر الرجل حين تنسحق عظامه، ينكسر فقط حين يفارق امرأة أحبها، ونحن من عائلة إذا أحبت تاهت عشقًا وجنونًا وحمقًا.

حسنًا.. هذا الصباح ذكرتك.

fb/mashro3pdf

كان الصباح رائقًا، وضوء خفيف ناعم كوجهك تسلل من خلف فتحات النافذة، ضوء له لونك، هادئ كقسماتك، لطيف مثل ابتسامتك الواثقة، ضوء جميل ذكرني بك يا حبيبتي، فتذكرتك..

يذكرني بك صوت محمد رفعت في الصباح يرتِّل من آي القرآن، يذكرني بك شجن الكمان في الموسيقى يتكئ على جراحاتي، تذكرني بك فيروز تغني عن حبٍّ بلا بيت يجمع الأحبة في نهاية الطريق، يذكرني بك نداءات أمي وابتسامة امرأة عجوز أصادفها في الصباح وابنة الحارس الصغيرة تستجيب لمداعبتي.

حسنًا.. هذا الصباح ذكرتكِ، وتلك نصف الحقيقة فقط.. إذ إنني وفي كل الصباحات – آسفًا – أذكركِ.

هذه ليست قصصًا يا أصدقائي الحمقى، هذا أنا أكتبني، وهذا القلم يفضح عريًا، فلتفتحوا عيونكم جيدًا فهذه ليست حروف اللغة، هذه انهزامات وأيام موجعٌ مرورها، وانسحاقات عمر، وأحزان وآمال كاذبة.. هذه رائحة شتاء قديم، ورسائل حب مستترة، واستجداء آمال بلا جدوى.

من بين كل الأشياء ورثت عن جدي خصلتين، لسانًا لاذعًا، وعنادًا طويلاً.

جدي لم يلتئم كسره أبدًا، قال الطبيب إن العمر الكبير يمنع الالتئام؛ لكن الحقيقة أن تلك العظام عنيدة كصاحبها، بقي جدي راقدًا على الفراش،

fb/mashro3pdf

يكرر نفس الطقوس كل يوم، ينادي في الصباح على المرأة التي أحبها، ويستجير بالموت، يرفض تناول طعامه كي يساعد الموت في مهمته؛ لكنه يعود ليلتهمه كاملاً في الظهيرة، يدخن رغم الأعوام الثمانين ثلاث علب سجائر كاملة ويتعمد إلقاء الأعقاب على الأرض، يبصق حوله في كل مكان ثم يشتكي قلة النظافة، ويمضي طوال اليوم يحارب الموت والحياة معًا في عزمٍ رهيب..

في وسط الفوضى ثمة امرأة تصلح ما يفسده الجميع بصبر نافد، تلك هي أمي.

تُعدّ أمي الطعام في كل الأوقات تقريبًا، وفي الفراغات البينية تجمع أعقاب السجائر، تُنظف الأرض من بصقات الجد وغباء الآخرين، تدور هنا وهناك وتسأل عن أوجاع النفوس لتعالجها، تسمع هذا بطيبة وتزجر ذاك بعنف، وتهدهد جدي كل صباح كي يتوقف عن نداءاته؛ لكنها حين يهاجمها اليأس في لحظات نفاد الصبر، تصرخ في وجه الجميع: لستم سوى عائلة من الحمقى المعاندين.. تصمت قليلاً قبل أن تضيف في شبه تشفٍ؛ لكنكم لا تعاندون سوى أنفسكم في النهاية يا عائلة المجانين.

تقع الكلمات على أنفسنا وقع انكشاف الحقيقة المُرّة وكأننا لم نكن نعرف! يُطفئ جدي ساعتها سيجارته، يتوقف عن البصق على الأرض، يتناول طعامه، يهدأ الجميع. وأتوقف أنا عن تذكركِ، أطردكِ سريعًا من نفسي، وأتهيأ لحياة طويلة وحيدًا دونك.

fb/mashro3pdf

لكننا في الصباحات التالية، نعاود الكرّة من جديد، ينادي جدي على امرأة أحبها والموت، يدخن بشراهة ولا ينسى إلقاء الأعقاب على الأرض، يبصق في كل مكان، يرفض تناول طعامه رغم أنه يعلم أنه سيتناوله في الظهيرة، وأعود أنا من جديد.. وأتذكرك.

حسنًا.. تلك سحابة رمادية أخرى تمر الآن يا جدي العظيم المنطرح أبدًا على الفراش، وهذا شتاء طويل سيبدأ توًا، وتلك فرصة طيبة أن ننادي على الغائبين.. والموت.

fb/mashro3pdf

المزيد من التداعيات

المرة لأجل جدي..

fb/mashro3pdf

-١

أظن أن زمنًا كافيًا قد أنقضى على لقائنا الأخير، زمان يكفيني لأن أكتب عنك دون أن ترتعش أصابعي، دون أن أبتعد عن طاولة الكتابة وأنزوي في ركن ما باكيًا، زمان كافٍ كي لا أشيح بوجهي بعيدًا حين أستدعي صورتك في مخيلتي، وكافٍ أيضًا كي يكسب القلب ذاك التكلس من اعتياد ما يُفترض دومًا أنه مؤلم وحزين.. حسنًا سأكتب عنك تلك المرة أيضًا يا جدي العظيم..

-٢

ثمة أمور تبقى كخنجر أبدي مرشوق في القلب، واحدة من تلك كان مشهدك ممددًا على طاولة الغسل في مشرحة "كوم الدكة"، دعني أكون أكثر دقةً، فمصطلح ممددًا ليس موفقًا تمامًا، فهو لم يكن تمددًا كما يوحي لفظ التمدد من استواء، فقد كان ذراعك الأيمن يصنع نصف دائرة حول وجهك وصدرك تحاول به اتقاء النار التي شبت بالقرب منك، فيما تستند على المرفق الأيسر محاولاً كل تلك المحاولات غير المجدية للفرار، ضممت رجلك اليمنى إلى بطنك – بالأحرى ما بقي من رجلك اليمنى- بينما بقت اليسرى ممددة في موضعها الأبدي غير قادرة على الحركة، كان مشهدًا مأساويًا، لم يكن ينبغي لهم أين يتركوك هكذا، لكنهم ربما من هول المشهد نسوا أن يسووك في وضع لائق فتخشبت على ذاك الوضع المأساوي!!

fb/mashro3pdf

لطالما رأيت جثث الذين غطتهم حمم بركان "فيزوف" الشهير في إيطاليا، لكنني لم أتخيل أبدًا أن تكون نهايتك على ذات الهيئة المؤلمة.

لكن جثث قتلى بركان "فيزوف" كانت بلا وجوه، لقد محى الزمان وجوههم وكان ذلك رحمة من الرب بالبشرية، لأن مشهد وجهك سيظل يؤلمني ما حييت، لقد كنت تستجمع كل علامات الألم المعروفة في الدنيا لتطبعها على وجهك، مغمضًا وبشدة مطبقًا على عينيك، جامعًا كل ما استطعت من قسمات الوجع نحوهما، ورأيتك في ذاك المشهد، فاستكملت ما أدركت أنك كنت تنطق به في تلك اللحظة.. وقلت آه.

-٣-

أُدرك أن هذا قد بدأ قبل سنوات طويلة، قبل أن تتخذ من كسر عظامك هواية، من قبل سقوطك الأول على ذاك الرصيف الملعون عند "بوسطة الإبراهيمية"، من قبل أن يتهشم حوضك، ورجلك اليسرى، من قبل كل تلك الشرائح المعدنية عديمة الجدوى التي ركبوها في جسدك المعدم، بدا هذا منذ أن أدركت يا جدي العظيم أن الحياة سلسلة من خيبات آمالك المتتالية، لم أشهد منها إلا القليل، لأنهم وكما تعلم في عائلتنا يعتبرون حكايات الماضي خيرًا كانت أو شرًا أمورًا لا ينبغي للمرء أن يحكي عنها، لكن النذر اليسير الذي عاينته منذ طفولتي يحكي كثيرًا عما سبق بالتأكيد.

fb/mashro3pdf

يبدأ ذلك من عند ذاك الابن الذي غضب وترك البيت دون أن يعود أبدًا أو يعثروا عليه، دون أن يعرفوا هل مات أم مازال حيًا في مكان ما، سألتك عنه حين كنت صغيرًا يومًا.."يا جدي هل لدي خال اسمه محمد؟" أجبت "كان لديك واحدًا ومات"، وصرخت جدتي "اصمت حرام عليك"، أو ربما بدأ حين شاهدت ابنًا آخر يفقد امرأته وهي على فراش الوضع، ومضى حاملاً بين كفيه فرخًا صغيرًا وحيدًا ويتيمًا لا يدري ما يفعل به، ربما حين سافر الابن الكبير ولم يعد، أو ربما حين ماتت المرأة التي أحببتها فجأة هكذا تداعت عليها أمراض الدنيا ورحلت! وربما من قبل ذلك.. من عند حكاية ما لم يروها أحد من فرط الألم فيها.. لماذا يُنجب الآباء أبناءهم يا جدي؟! هل ليستكملوا مسيرة الحزن نفسها؟ أم لأن رُحى طاحونة الأحزان لا يرتوي أبدًا.

-٤

أتعرف لماذا أحبك هكذا يا جدي العظيم؟ لأننا وجهان لعملة واحدة، وقصة واحدة تختصر في قليل من كلام حبًا يضيع من أجله العمر بلا ثمن، وسنوات تمر بلا معنى بلا فرح أو حزن حقيقيين، وأحلام طيبة وساذجة لا يجود بها الزمان أبدًا..، أي والله!! أحلام ساذجة جدًا وبسيطة، لكن الزمان يضنى بها علينا لمجرد العند لا أكثر!! أحلام ساذجة كحلمك الأبدي أن ينال الاتحاد درع الدوري ولو مرة واحدة!! يوم قمت من عمليتك الجراحية الأولى وأفقت من إغفاءة المخدر استيقظت لتسأل.. هل فاز الاتحاد؟

fb/mashro3pdf

وضحكوا جميعًا وأجابوك أنه خسر.. بصقت جانبًا، ثم انتبهت أن فخذك مهشم وأن الأولى بك أن تسأل هل جبرتم فخذي المكسور؟!

هذه خلاصة الحكاية يا جدي.. يمضي العمر من هزيمة إلى هزيمة، ومن كسر لا يلتئم إلى آخر لا يلتئم أيضًا، وأنت لا تريد أن تصدق أن السنوات تمر هكذا!! وتقوم تعاند وتدفع في عنف من يريد أن يسندك وتسبّه سبابًا بذيئًا، تنجح مرات في أن تسير وحدك، وتنتشي بالنجاح لكنك سرعان ما تهوي مرة أخرى، وتمضي إلى كسر جديد.. هكذا الحياة يا جدي العظيم تعاقب هؤلاء الذين يرفضون تصديق أنها هزمتهم، وماذا علينا لو أنا سلمنا بأنها هزمتنا يا جدي!!

-٥-

كنت كعادتك تلتهم سجائرك واحدة تلو الأخرى، لم تردعك السنوات التسعون على كتفيك، ثم غفوت كما يغفو كبار السن، والسيجارة لم تزل مشتعلة بين إصبعيك، اشتعلت مرتبة السرير الذي تنام عليها، كنت وحيدًا كما اعتدت مؤخرًا فقد مضوا وتركوك لشؤونهم، واستيقظت لتجد النار مشتعلة في سريرك حيث تنام، هل صرخت حينها؟! أم أنك قررت أن تموت شجاعًا تكتم الألم داخلك كما حييت عمرًا؟ حاولت الهروب، ينبئني بهذا استنادك على مرفقك، ورجلك المضمومة إلى جسدك، استغربوا جميعًا حين عرفوا أنك ضممت رجلك إلى جسدك!! كان الكسر في حوضك يمنعك أن تفعل!! أي ألم شيطاني فعل بك هذا!! كنت تحاول الهروب بلا

fb/mashro3pdf

جدوى، كنت محبوسًا في قفص العجز، تلتهمك النار على مهل!! لم تكن تستحق نهاية كتلك.. وإن شئت الدقة أيضًا.. ولا حياة كتلك، كسر الجيران الباب أخيرًا.. ومتأخرًا.. أتت سيارة الإسعاف لتصطحبك، أتت الشرطة، والنيابة، وكل هؤلاء الذين كان يجب عليهم أن يأتوا منذ زمن لكنهم لم يفعلوا.

-٦

أخفى الذكور على إخوتهم البنات أن أباهم مات محروقًا، قالوا لهم إنه اختنق من جراء الدخان حين شبّ الحريق، لم يعلموا أن النار التهمتك حتى الممات، وسألتني أمي من بين دموعها كعادتها سؤالاً لا معنى له، هل كانت أظافره مقصوصة حين مات؟ ضحكت في ألم وأجبت "نعم"، وفي داخلي أكملت بقية الإجابة "مقصوصة حتى كفيه يا أمي.. وكانت النار قد التهمت كفك كلها".

-٧

تركتني يا جدي العظيم، بتُّ ليلتها على شاطئ البحر مع أصدقاء، وحكيت طويلاً عن كل الأشخاص عداك، دفنتك في اليوم التالي، وحكيت عن كل الأشياء إلا مماتك، وتعجبت من صلابتي.. لكنهم قالوا إن الذين لا يبكون الأحبة عند الموت يبكونهم طوال العمر، واستعجبت هذا يا جدي

fb/mashro3pdf

حينها.. لكن الأيام حين مرت أثبتت لي أنهم صادقون..، صادقون أكثر مما توقعت!!

-٨

لا جديد في الغياب لأرويه لك يا جدي العظيم..، الأيام تمر، والأحلام تنتهي إلى لا شيء، والأحباب يبتعدون أكثر، والتتحاد مازال يخسر كل مبارياته.

fb/mashro3pdf

فهرس

هي

لطخات ٩

كلمات من قصاصات مهترئة ١١

كبرعم لمسته الريح ١٧

أمور قديمة ٢١

بقايا حكايا لما جرى ٢٧

عمر سعد

في مقام أبي الدرداء ٣٥

قبضة ٣٧

كل الحاجات ٤١

سافر ٤٥

ناس

"....." ٥١

أشرف ٥٣

fb/mashro3pdf

شربات ٥٩
أم حنان ٦٣
الشيخ بسيوني ٦٩
ابن الخال ٧٣
أولى ثاني ٧٧
عبد الوارث ٨٣

مسار

انتظار ٨٩
رصيف ٩١
عندما يأتي الصباح ٩٣
مساء الأحد الأخير ٩٧

مدينة الرجل العجوز

رغبة ما ١٠٨
حكايات أخرى جديدة عن قصة الخلق ١١١
تداع مر ١١٧
المزيد من التداعيات المرة لأجل حدي ١٢٣

fb/mashro3pdf

"هذه ليست قصصًا يا أصدقائي الحمقى، هذا أنا أكتبني، وهذا القلم يفضح عريًا، فلتفتحوا عيونكم جيدًا فهذه ليست حروف اللغة، هذه انهزامات، وأيام موجع مرورها، وانسحاقات عمر، وأحزان وآمال كاذبة.. هذه رائحة شتاءٍ قديم، ورسائل حبٍّ مستترة، واستجداء آمال بلا جدوى".

---

fb/mashro3pdf

عن الكاتب:

- محمود حسن .. من مواليد الإسكندرية عام ١٩٨٤، يعمل مخرج ومعد افلام وثائقية.

- نال جائزة قصور الثقافة المصرية عن هذه المجموعة عام ٢٠١٢، كما أشيد بالمجموعة في مسابقة مجلة "دبي الثقافية " عام ٢٠١١.

- تم تدريس إحدى قصصه لطلبة كلية الألسن في إطار دراسة عن السرد العربي الحديث عام ٢٠١٠.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

بقايا حكايات لماجرى

محمود حسن

"هذه ليست قصصًا يا أصدقائي الحمقى، هذا أنا أكتبني، وهذا القلم يفضح عُريًا، فلتفتحوا عيونكم جيدًا فهذه ليست حروف اللغة، هذه انهزامات، وأيام موجع مرورها، وانسحاقات عُمر، وأحزان وآمال كاذبة ... هذه رائحة شتاء قديم، ورسائل حبٍّ مستترة،واستجداء آمال بلا جدوى".

عن الكاتب:

- محمود حسن .. من مواليد الإسكندرية عام 1984
- يعمل مخرجًا ومعدّ أفلام وثائقية.
- نال جائزة قصور الثقافة المصرية عن هذه المجموعة عام 2012، كما أُشيد بالمجموعة في مسابقة مجلة "دبي الثقافية" عام 2011.
- تم تدريس إحدى قصصه لطلبة كلية الألسن في إطار دراسة عن السرد العربي الحديث عام 2010.

مقام للنشر والتوزيع

الغلاف: عبد العزيز السماحي

fb/mashro3pdf